مجيد الصيمري
بكالوريوس في اللغة العربية
والعلوم الاسلامية

الزواج في الإسلام

وانحراف المسلمين عنه

الدار الاسلامية

الطبعة الرابعة

١٤٠٦هـ/١٩٨٦م



المركز الرئيسي: بيروت ـ كورنيش المزرعة ـ الحسن سنتر
هاتف ٨١٦٦٢٧ ص.ب. ١٤/٥٦٨٠
فرع حارة حريك. مفرق الحلباوي.

الإهداء

إلى كل فتاة في ربوع الوطن الاسلامي ،

إلى كل فتىً انجبته بطون مسلمة وترعرع في احضان الأسلام ،

إلى كل رجل وامرأة .... ،

إلى بُناة الحياة الزوجية الصالحة ،

إلى كافة الآباء والامهات .

أقدم هذا المجهود المتواضع والله ولي القبول والتوفيق ،

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خيرة خلقه وأنوار هدايته ، والقادة إلى الحق بأمره محمد وآله الطاهرين ، وعلى أصحابه الذين صدقوا مـــا عاهدوا الله عليه ، وعلى من والاهم واتّبع هداهم وحمل رسالتهم وسار على منهجهم إلى يوم الدين .

وبعد فأن هذا الكتاب الذي اضعه بين يدي القاريء الكريم ، هو بحث في الزواج في الإسلام ، وقد اقتصرت البحث فيه على الزواج الدائم تجنباً لما هو موضع الخلاف ـ الزواج المؤقت ـ بين المسلمين ، اذ قد اختلفوا فيه ـ رغم تركه في حياتهم المعاصرة ـ فمنهم من ذهب إلى نسخه مستدلاً بآية تعدد الزوجات « .... فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىً وثلاث ورباع .... »[1] ، ومنهم من ذهب إلى عدم نسخه محتجاً بالعمل به زمن حياة الرسول (ص) وحياة الخليفة الأول وفي شطر من حياة الخليفة الثاني ، إذ لا يتصور وقوع النسخ إلا زمن حياة الرسول (ص) ولم يحصل .

كما قد تجنبت فيه بحث كافة آراء المذاهب الأسلامية وذلك خوف الاطالة ، وأعتمدت فيه في الأعم الاغلب على مذهب أهل البيت عليهم السلام .

كما وقد تناولت فيه انحراف المسلمين عن الزواج الاسلامي نتيجة تأثرهـم بغيرهم وضمور الاسلام في ذهنياتهم وسلوكهم .

---

(١) سورة النساء آية ٣ .

لذلك سميته « الزواج في الاسلام وإنحراف المسلمين عنه » وقد اعتمدت في بعض فصوله على اطلاعاتي وتتبعي لكثير من التقاليد والأعـراف والعادات في المسار الاجتماعي .

وقد كانت بداية ظهور هذا المؤلف مخطوطاً في عام ١٩٦٥ بشكل مختصر ، إذ قدمته رسالة في الأدب العربي ، عند تخرجي من كلية الفقه في النجف الاشرف .

وقد نال في حينه استحسان استاذي الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، وخصني منه بدرجة جيد جـداً . ومرت عليـه عشر من السنين بقي فيها حبيس رفوف المكتبة ، إذ لم يكن لدي متسع من الوقت يمكنني من مراجعته واعادة النظر فيه ، وذلك لأنشغالي .

غير إني فيما بعد وجدت نفسي رغم انشغالي مطالباً بتحقيق أخراج هـذا المجهود ــ مع العناية به والتوسع في مواضيعه ما أمكن ــ إلى حيز النشر ، علّه ينال حظه من خدمة الإنسانية ، ويكون في تعداد كتب المكتبة الاسلامية ، التي تشرفت بخدمة الدين وإفادة المسلمين .

وإنني إذ أقدم هذا المجهود الضئيل ، متوخياً بذلك اعطاء صورة واضحة المعالم متكاملة الأبعاد ـ قدر الامكان ــ عن الحياة الزوجية في حياة الأمة الاجتماعية والصورة الشرعية للأسرة المسلمة ؛ ليطّلع ابناء الأمة التي أخرجها الله خير امة للناس على جوانب عظمة الاسلام ، وعظمة نظرته السليمة في بناء صرح المجتمع الانساني أنطلاقاً من حجري الزاوية والخلية الأولى الزوج والزوجة .

ثم ليتنبهوا إلى ما هم فيه من تنكر لرسالتهم ، وانحراف عن مسارهم الطبيعي ، علّهم يرجعون إلى صوابهم ويثوبون إلى رشدهم ويتوبون إلى بارئهم ، ويلتزمون برسالتهم ويعودون إلى الانتفاع بها وحملها إلى العالم من جديد .

واسأل الله أن يوفقني إلى مرضاته ، وان يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به أخواني المسلمين من انحرافات الحياة ومزالق الشبهات ، ويعصمهم عن اتباع الشهوات إنه سميع مجيب إنه ارحم الراحمين .

المؤلف

المدخل

إن الاسلام الذي اختاره الله ديناً لعباده وضمّنه شريعة هي خير نظام للحياة ، فبشر بها رسول الله (ص) معلناً عن مكاسبها بقوله : « جئتكم بالشريعة السهلة السمحاء » الشريعة التي تناسب قدرة الانسان في مسؤلياتها ، والملائمة لفطرته في تكاليفها .

الشريعة السمحاء أي المعطاء ، إذ أن الالتزام بها هو تحصيل للخير في الدنيا في كافة مجالات الحياة ، لما فيها من دقة وشمول في تنظيم حياة الانسانية ، وتحقيق العوض على الطاعة والتعبد بها بتحصيل الثواب في الآخرة ، فهي معطاء في الدنيا ومعطاء في الآخرة .

نعم أن الاسلام الذي اختاره الله ، لم يبق احكامه على أساس من التجارب التي جعلتها القوانين الوضعية اساساً لتشريعاتها .

ولكن للتعرف على مدى ما ضمنه الاسلام للإنسانية من حقوق ، وما فرض عليها بتشريعاته من واجبات ، وما حقق لها من سعادة . لا بد لنا من التأمل ومتابعة حصيلة القوانين الوضعية في المسيرة الإنسانية ، والاطلاع على ما حققته للبشرية في تجربتها الطويلة . ثم تقييمها والمقارنة بينها وبين الاسلام على ضوء ما ننتهي إليه .

وللوقوف على مكانة كل من الرجل والمرأة ، وتحقيق النتيجة من وجهة النظرة الاسلامية نحتاج إلى :

١ ـ معرفة قيمة كل من الرجل والمرأة والمقارنة بينهما .

٢ ـ وزن المرأة الاجتماعي ومقدار تأثيرها وحجمه في الحياة الإنسانية .

٣ ـ حقوق وواجبات كل من الرجل والمرأة والأحكام المتصلة بذلك .

قيمة الرجل والمرأة في الشعوب المتخلفة

عاشت المرأة مع الرجل في الشعوب المتخلفة في افريقيا واستراليا والمناطق الأخرى اشبه بحياة الحيوانات الأليفة التي تشاركه ظلال الدار . يتصرف بها الرجل كما يتصرف بتلك الحيوانات بدافع حب السيطرة وغريزة التملك .

فهو كما يستفيد من الحيوانات شعرها ووبرها ، ولحمها ولبنها وغير ذلك من الفوائد الأخرى ، وإنها لا قيمة لها عنده الا بمقدار ما يستفيده منها . فأنه يعتبر المرأة تابعة له في مسيرة الحياة وموكب الانسانية ، وانها لم تخلق الاّ لأجله ، ولا استقلال لها في وجودها بدونه .

فهو يبيعها ممن يشاء ، ويهبها لغيره ، ويقرضها لمن يستقرضها للمتعة والاستيلاد أو الخدمة أو غيرذلك .

وله أن يتخلى عنها ، أو يقتلها ويبيع لحمها للانتفاع بثمنها ، في أيام المجاعة واقامة الولائم . ويعتبر كل ما يقع تحت تصرفها من مال ملكاً له ، ولا يصح لها اجراء أي معاملة بيع أو شراء أو ايقاع وإنّما ذلك من حقة فقط ، يتصرف بها وبما لها من حقوق وملك متى شاء وانّى شاء[1] .

وعلى المرأة أن تطيع الرجل أباً كان أو زوجاً أو غيرهما ممن يتولى أمرها ، فيما يأمرها به طوعاً أو كرهاً ، وأن لا تستقل عنه في أمر يرجع إليه أو إليها .

وعليها أن تتولى امور البيت والأولاد وجميع ما تحتاج إليه حياة الرجل فيه .

ومن العجيب أن المرأة في بعض الشعوب إذا وضعت حملها يرقد الرجل مكانها يتمارض ويداوي نفسه ، بينما تقوم هي من فورها لمزاولة مهامها وأعمالها البيتية .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن لحجة الإسلام الطباطبائي ج٢ ص ٢٧٥ طبع دار الكتب الإسلامية طهران .

قيمة الرجل والمرأة في الشعوب المتمدنة قبل الاسلام

وتنفست المرأة قليلاً في هذه المرحلة من حياتها ، إذ أصبحت تبدو وكأنها احسن حالاً منها في الفترة التي عاشتها مع الوسط الاجتماعي غير المتمدن .

فهي في هذا الوسط الجديد لم تقتل ليؤكل لحمها ، ولم تحرم من الملكية ، بل أصبحت تتملك شيئاً من الارث وغيره ، ولكنها ليست لها أيّة استقلالية أو حرية سواء في ارادتها أو أعمالها ، بل هي تعيش تحت سيادة الرجل ، وليس لها أن تتدخل في أي شأن من شؤون الحياة في الحياة الاجتماعية ، فهي تشارك الرجل في أعمال الحياة وتختص بأمور البيت والأولاد ، وتطيع الرجل في كل ما يصدر عنه وما يريده منها .

وقد كان للرجل حق تعدد الزوجات ، وله أن يتزوج بعد موتها ، وليس لها أن تتزوج بعد موته .

وكان له حق التزوج من المحارم كالأم والأخت والبنت وغيرهن[1] غير أن هناك في بعض المناطق تمايز نسبي بين النساء في تلك الفترة التي عاشتها المرأة قبل الاسلام حيث اعطى هذا التمايز نساء الطبقة الاجتماعية العليا حق التدخل في شؤون الحكم وصلاحية السلطة كما حصل ذلك في ايران[2] .

أما في الصين فقد كانت المرأة ممنوعة من الأرث حيث قد استقل به الرجل ، ولا تشارك الرجل في الأكل مهما كانت رابطتها به .

وللرجال حق المشاركة بزوجة واحدة ، فيشترك أكثر من رجل واحد بامرأة

---

(١) الميزان ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .

واحدة من أجل التمتع بها ، والانتفاع بأعمالها ، أمّا الأولاد الذين تنجبهم فيلحقون بأقوى الأزواج المشتركين بها ١ .

وفي الهند تفرض تبعية المرأة للرجل عليها ، أن لا تتزوج بعد وفاة زوجها . بل اما أن تحرق بالنار معه أو تعيش بعده ذليلة[٢] .

ويعتبرونها حال طمثها من الأخباث والنجاسات التي يجب اجتنابها ، بل يتجنبون حتى ثيابها التي ترتديها اثناء طمثها .

والذي يتضح مما عرضه التاريخ ، أن الشعوب الآنفة الذكر كان تنظيمهم الاجتماعي وترتيب علاقاتهم مبنياً على أساس من التقاليد والعادات التي ورثوها ممن تقدمهم من الأجيال السابقة دون أن تعتمد على كتاب أو تشريع قانوني .

غير أن هناك شعوب أخرى عاشت تحت ظل قوانين وكتاب كالكلدانيين والاشوريين والروم واليونانيين .

فإن الكلدانيين والأشوريين حكمتهم شريعة حمور ابي وفرضت هذه الشريعة تبعيّة المرأة لزوجها . واسقطت استقلالها في الادارة والعمل ، وأجازت للزوج طردها من البيت ، أو التزوج عليها بأخرى إن هي تمردت عليه وأظهرت عصيانها في شيء من امور المعاشرة[٣] .

أما إذا اخطأت في تدبير البيت بأسراف أو تبذير فله الحق في أن يرفع امرها إلى القاضي حيث الحكم عليها بالاعدام غرقاً حتى الموت بعد اثبات الجريمة .

أما الروم وهي من اقدم الشعوب في تشريع القوانين الوضعية ، حيث بدأوابه في حدود سنة (٤٠٠ ق م) اربعمائة قبل الميلاد ثم تدرجوا به .

فقد اعطى التشريع في عهدهم للبيت شيئاً من الاستقلال ، ولرب العائلة هالة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .

من التقديس فرضت على أفراد الأسرة عبادته·كما كان اباؤه يعبدون من قبل ، واعطاه حق التصرف بأفراد أسرته اولاداً وزوجة حتى القتل أن وجد فيه صلاحاً وفق معتقاه ، وليس لاحد من حق في معارضته .

ورغم كون المجتمع الذي كان يعيش فيه الرجال والنساء في تلك الفترة مجتمعاً متمدناً ، الاّ أن قوانينه حرمت المرأة كثيراً من الحقوق .

فأنها لا تسمح لها بشكاية ولا تنفذ لها معاملة . ولا تسمح لها بالتدخل في الشؤون الاجتماعيـة .

فالأفراد الأصيلة المكونة للعائلة في نظر القوانين الرومانية هم الرجال ودون النساء ، إذ أن النساء في نظر القانون اتباع للرجال ليس الاّ . وأن القرابة المؤثرة في التوارث ونحوه مختصة بالرجال فقط .

أما النساء فلا قرابة رسمية بينهن ، رغم الصلات النسبية كالأخوّة والأمومة والبنوّة ونحو ذلك .

فالأم والبنت والأخت لا قرابة بينهن وبين الرجال ، كالزوجين ، وكالأم مع الأبن ، والأخت مع الأخ والبنت مع الأب . ولا توارث فيما لا قرابـــة رسمية معه .

نعم أن القرابة الطبيعية ، وهي التي يوجبها الاتصال بالولادة أي النسب فقد كانت موجودة بينهم ، وربما يظهر أثرها في نحو الزواج بالمحارم وولاية رئيس البيت

فالمرأة في نظر تلك الشعوب المتمدنة ، سواء من كان محكوماً منها بكتاب أو قانون أو بتقاليد وعادات وأعراف موروثة ، لا تخرج عن كونها تبعة للرجل في حياتها الاجتماعية ، فأنه له أن يفعل بها ما يشاء ويحكم عليها بما يريد . يبيعهـا ويهبها ويقرضها للتمتع أو الاستيلاد ، ويعطيها بدل حق ، أو في وفاء دين ، أو يقتلها . بيده تدبيرها وتدبير مالها أن ملكته بالكسب مع إذن وليها لا بالارث لأنها محرومة منه .

أما زواجها فبيد أبيها أو أحد سراة قومها ، وبيد زوجها الطلاق .

فهي تبعية للرجال فيما يوافق مصالحهم ، اما إذا أساءت فتعاقب على اساءتها بالاستقلال لا بالتبع[1] .

(١) الميزان للحجة الطباطبائي ج ٢ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ بتصرف وإيجاز .

قيمة الرجل والمرأة عند العرب

وأما العرب فإن الكثير منهم ممن يسكنون وسط شبه الجزيرة العربية يشكلون قبائل بدوية بعيدة عن عالم المدنيّة ، ويعيشون في الاعم الأغلب على حياة السلب والنهب في المجال الاقتصادي .

ولكن الكثير من البلاد العربية المجاورة للبلدان الأخرى ، واقعة تحت سيطرة الدول المجاورة لها كالروم وفارس والحبشة ، لذلك كانت متأثرة بتقاليد واعراف وعادات شعوبها ، فكانت بعض التقاليد والعادات والاعراف الاجتماعية لدى البعض منهم مكتسبة من الروم وفارس والهند والاحباش .

ولكن ليس معنى ذلك أن العرب قد اكتسبوا كل تقاليدهم وعاداتهم وأعرافهم ممن تأثروا بهم من الدول والشعوب المجاورة بحكم الجوارأو السيطرة . بل للعرب عاداتهم وتقاليدهم الأصيلة ، وأعرافهم النابعة من واقعهم الاجتماعي ، والدليل على ذلك أن النبي (ص) لما بعث قال : « بعثت لاتمم مكارم الأخلاق » .

ومعنى ذلك أن الاعراف والتقاليد والعادات التي تعتبر المظهر الخارجي أو البناء الفوقي للرصيد الأخلاقي عند العرب ، فهي وأن كانت نابعة من واقعهم الاجتماعي ، الا أنها لم تكن قدبلغت المستوى الذي ينسجم والفطرة الانسانية السليمة إذ فيها ما هو الحسن وفيها ما هو القبيح . فأنهم في الوقت الذي يئدون البنات خوف العار واقتراف الجريمة يشترون الجواري من أجل ممارسة البغاء لتحصيل الثمن وجمع المال فنهاهم الاسلام عن كل ذلك . نعم نهاهم عن الوأد ؛ « وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت »[1] .

(١) سورة التكوير آية ٨ ـ ٩ .

﴿ ... **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** .... ﴾ [1] .

كما نجد إلى جانب حماية الجوار الذي كثيراً مّا نشبت الحروب من أجله ، قطع الطريق والغزو القبلي من أجل السلب والنهب .

وهذا التناقض في الحياة الاجتماعية ، كان من الأسباب التي جعلت العرب يشعرون بحاجتهم إلى كيان سياسي ونظام عادل ، ينظم علاقاتهم الفردية والجماعية ويحقق لهم الخير والرخاء والطمأنينة والاستقرار .

وهذه الحاجة هي التي دفعتهم إلى الدخول في الاسلام، والخضوع لسلطان دولته ورسوله . فأنبرى الرسول من أجل تحقيق الرخاء لا للعرب وحدهم فحسب بل لكافة البشرية ، مبتدأً بالعرب لكونهم احوج الناس إلى ذلك ، وليجعل منهم المنطلق إلى صياغة المجتمع الاسلامي ، وبناء كيان الامة الاسلامية التي أخرجها الله للناس خير أمة .

وهذا لا يتحقق الا بالتغيير للمحتوى الداخلي للفرد والجماعة . فعبّر (ص) عن مهمته في هذا المضمار بتهذيب الأخلاق واتمامها ، إذ هي الرصيد الأساس لهذا التغيير فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . . وبهذه العملية التغييرية يكون الرسول (ص) قد أكمل واتمم للإنسانية الدستور الدائم والشريعة الخاتمة للشرائع ، المستوعبة لحلول كافة المشاكل على كافة الأصعدة وفي كافة المجالات ﴿ ... **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً** .... ﴾ [2] .

ولكن رغم ذلك فأن العرب قبل الاسلام لا يرون استقلالية للمرأة في الحياة ، فهي تبعة للرجل ، ولا شرف لها ولا حرمة الا بشرف الرجل والبيت وحرمته ، وهم

---

(١) سورة النور آية ٣٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٣ .

لا يورثونها . وبقيت عادة عدم التوريث سارية المفعول في بعض المناطق العربية حتى الآن ، رغم محاربة الاسلام لهذه العادة ، وحفظه لحقوق المرأة واعلانه عن توريثها وتعيين حقها بصراحة :﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾[1] .

ويعتبرون توريثها خطراً على اموالهم ، لأنه في نظرهم طريقة لنقل ثرواتهم إلى غيرهم . وهذا ناتج من نظرتهم إلى أن المرأة حين تتزوج تنتقل من تبعيتها للأب إلى تبعية الزوج ؛ لذلك يعتبرون توريثها نقلاً لا موالهم إلى زوجها .

وهم يجيزون تعدد الزوجات مطلقاً كاليهود ، ويئدون البنات . وكان السبب في بداية تلك العادة البغيضة ، أنه وقعت معركة بين بني تميم والنعمان بن المنذر انتصر فيها النعمان وأسر مجموعة من نساء بني تميم ، فاغضبهم ذلك ، وأخذوا يئدون البنات ، خوف العار فيما إذا تكررت القضية . حتى أصبحت فيما بعد سنّة في العرب ﴿ **وإذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مُسوّداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون** ﴾

وحيث أن المرأة عاشت حياة الازدراء والحرمان عبر التاريخ البشري ، صارت تشعر بضعفها في المجتمع ولا تثق بنفسها . إذ ينظر اليها كالبهيمة في مجال التسخير والانتفاع ، وانساناً ضعيفاً لا يؤمن شرّه وفساده لو اطلق من قيد التبعيّة في مجال التنظيم الاجتماعي .

ولكن صلات الرجل بالمرأة في المجتمع العربي الجاهلي صلات ذكورة وأنوثة، مع تفاوت نسبي تفرضه مراتب الطوائف والقبائل لا يخرجها عن الوضع القريب من مراتب الانسان الأول . ولذلك كانت النسوة يتبرجن في الجاهلية الأولى ، ويبدين من زينتهن ما لا يقف أمره عند بعولتهن [3] .

---

(١) سورة النساء آية ١١ .

(٢) سورة النحل آية ٥٨ ـ ٥٩ .

(٣) حياة محمد ، الأستاذ محمد حسين هيكل ص ٣١٢ .

قيمة الرجل والمرأة في الاسلام

وبعد كل الذي عانته المرأة في حياتها الاجتماعية من ذل وهوان ، وضعف ومشقة . حيث كانت رمزاً للضعف وشعاراً للهوان ، يشبّه بها المخذول ويوبخ بها الجبان حتى قال الشاعر في هذا المعنى :

وما أدري وليت أخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

وهذا كاف للاقتناع بما كانت تعانيه المرأة من احتقار وما تعتقده البشرية في أمرها . ولم يحدث التاريخ عن احترام لها وعناية بها من الرجال ، الا في بعض ما ورد في التوراة ، وما اوصى به عيسى عليه السلام[1] .

غير أن الاسلام شرّع في تنظيم امور المرأة والمحافظة على حقوقها ما لم تعرفه البشرية منذ فجر التشريع ، بل منذ سكن الانسان وجه الأرض . وألغى الاسلام كل ما كانت تعتقده الشعوب في قيمة المرأة وحقيقتها ، وما كانت تسير عليه في تنظيم مسيرتها . فقيمة المرأة والرجل في نظر الاسلام . أنه اعتبرهما انسانيين لا فرق بينهما في انسانيتهما ، ولا في مادتهما وعنصرهما ، إذ أن البشرية باجمعها تنتسب إلى ابوين هما آدم وحواء عليهما السلام . فلا تفاضل بين الانساب .

الناس من جهة التمثال اكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

ولا فضل لأحد على آخر الاّ بالتقوى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾**[2] . فجعل

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ص ٢٨١ ج ٢ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

تعالى كل انسان مأخوذاً ، مؤلفاً من انسانيين ذكر وأنثى ، هما معاً وبنسبة واحدة ، بلحاظ مادة تكوينه ووجوده . ولم يقل: ﴿ **وانما امهات الناس أوعية** ﴾ . ولا قال:

بنونا بنــو ابنائنــا وبنــاتنـــــا   بنــوهن ابنــاء الــرجال الاباعد

بل جعل تعالى الانسان ، كلاً مخلوقاً من كل . فعاد الكل امثالاً ، ولا بيان اتم ولا أبلغ من هذا البيان . ثم جعل الفضل في التقوى[1] .

وقال تعالى : ﴿ **إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وانثى بعضكم من بعض** ... ﴾[2] .

فقوله تعالى :﴿ **إنا خلقناكم من ذكر وانثى** .... ﴾وقوله :﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ صريح في أن الرجل والمرأة جميعاً من نوع واحد من غير فرق في الأصل .

وهنا يلاحظ الفرق الكبير بين ما كان من قيمتهما في الشعوب السابقة ، وما حققه الاسلام لهما خصوصاً المرأة ، إذ قد رفع مكانتها وساواها بالرجل مساواة الند للند ، الا في بعض الموارد التي راعى فيها ما يناسب طبيعتها .

وجعل عمل كل واحد من الرجل والمرأة غير مضيّع عند الله ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[3] . إذ قد عامل المرأة بغير ما كان يعاملها الناس به حين جعلوا السيئات عليها وللرجال حسناتها .

ثم وضع الاسلام مقياساً ليحفظ به قيمة كل من الرجل والمرأة بتقييمهما في ميدان الحياة ، غير المقاييس التي التزمتها الشعوب من قبل ، الا وهو مقياس التقوى ﴿.... **إن أكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾[4] .

وعلى أساس من ذلك جعل النتيجة الصحيحة التي ينتهي إليها الطرفان هي الفضيلة التي يرتقي بها كل منهما .

---

(١) الميزان ج ٢ ص ٢٨٢ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٩٥ .
(٣) سورة المدثر آية ٣٨ .
(٤) سورة الحجرات آية ١٣ .

وزن المرأة الاجتماعي في ظل الاسلام

اننا حين نوازن بين النظم والشرائع الوضعية وبين الاسلام ، ونقول : بأن الاسلام قد أنقذ المرأة مما كانت فيه من حالة وضيعة وعيش تافه ، لا نقول ذلك اعتباطاً ، وإنما نستخلصه من الواقع الذي عاشته المرأة تحت حماية النظم والقوانين السابقة ، طوال التاريخ البشري ، والواقع الذي عاشته تحت حماية الاسلام وظل نظامه الخالد .

لقد احتضنها الاسلام ورعاها بعناية وحنان ، وشملها بالرفق والاحترام والاعزاز ، ورفع مكانتها .

وقد حفلت السيرة النبوية ، وسيرة الأئمة عليهم السلام ، وسيرة الصحابة الصالحين بما يؤكد كذلك .

وخذ لذلك مثلاً ، معاملة الرسول (ص) لازواجه ومكانتهن عنده ، وحنانه عليهن ، خصوصاً أم المؤمنين خديجة عليها السلام .

ومعاملة الامام علي (ع) لفاطمة (ع) بنت رسول الله (ص) ، وكذلك معاملة بناتها زينب وأم كلثوم (ع) ، وحفيداتها سكينة وفاطمة وأخواتها من بنات الحسين (ع) وفتيات البيت الهاشمي الكريم . وما إلى ذلك من وصايا عديدة حفلت بها الكتب الاسلامية ، إذ أكدت على العناية بالمرأة والمحافظة عليها وعلى حقوقها .

أما الوظائف الاجتماعية التي أتيح للمرأة الاسهام فيها وتحملها ، والتكاليف الأخرى المتفرعة عنها فهي في الواقع تنتهي من حيث تصنيفها وتوزيعها إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة . وهذا ما لا ريب فيه ، إذ أن الفطرة الانسانية التي فطر الله

الانسان عليها ، هي التي تهدي إلى تفهم تلك الوظائف ، وقيام كل صنف بما يناسبه منها .

وقد ذكر الله ذلك في كتابه المجيد ﴿ ...**الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾[1] وقال﴿ **والذي خلق فسوّى . والذي قدر فهدى** ﴾[2]: وقال﴿ **ونفس وما سوّاها . فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[3] .

وللمرأة أن تستقل بالتصرف في جميع شؤون حياتها الفردية والاجتماعية ، عدا ما يمنع عنه مانع . وقد اعطاها الاسلام هذا الاستقلال وهذه الحرية على اتم الوجوه ، فصارت بنعمة الله مستقلة بنفسها ، منفكّة بالارادة والعمل عن الرجال وولايتهم ، واجدة ما لم تسمح لها به الدنيا في جميع ادوارها التاريخية والتشريعية .

قال سبحانه : ﴿ ... **فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف** ...﴾ [4]

وهكذا عاشت المرأة طوال التاريخ الاسلامي تحت ظل تشريعه العادل إلى جنب الرجل سعيدة في حياتها ، هانئة في عيشها ، فهي والرجل في ظل الاسلام على حد سواء .

ولكن فرّق الاسلام بينهما في الوظائف والتكاليف العامة الاجتماعية ، التي يرتبط قوامها بأحد امرين العقل والعاطفة .

ولتوضيح ذلك ، اننا لا نشك في أن الرجل والمرأة انسانين متساويين في الانسانية ولا فرق بينهما في ذلك . غير أن لكل واحد خواص نفسية وجسدية ، ومن خواص المرأة النفسية غزارة العاطفة ، خصوصاً قبيل الولادة ، حيث يزداد حجم العاطفة لديها وهذه الزيادة هي عاطفة الأمومة التي مهمتها ترقيق طبيعة المرأة للحب والحنان ، ويتناسب الحب والحنان مع زيادة العاطفة تناسباً طردياً من

---

(١) سورة طه آية ٥٠ .

(٢) سورة الاعلى آية ٢ ـ ٣ .

(٣) سورة الشمس آية ٧ ـ ٨ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٤ .

أجل تهيئة المرأة لمرحلة الأمومة ، لملازمة السرير وتغذية الطفل وتنظيفه والسهر معه ، ولولا هذه العاطفة لما استطاعت أمٌ أن تتحمل وليدها ، ولما حضي طفل برعاية الدفء والحنان .

وبزيادة حجم العاطفة عند المرأة تصبح فعاليات المرأة العاطفية أكثر من فعّاليّاتها العقلية ، بل أن زيادة الفعاليات العاطفية تنقص من الفعاليات العقلية حيث تتناسب معها تناسباً عكسياً .

كما أن نفس المرأة تتأثر بالحالات الأخرى كالحيض والنفاس والاستحاضة وهي في مثل تلك الحالات اعني الحمل والنفاس والحيض والاستحاضة ، تكون خاضعة للتأثر بسرعة بالمؤثرات الخارجية ، فتكون بذلك إلى الاحساس العاطفي أقرب منها إلى التعقل والتروّي في الأمور المهمة ، للسبب الذي ذكرناه في التناسب العكسي .

لذلك جعل الاسلام مجال عملها الحضانة والتدبير المنزلي وما يقاربهما مراعاة لتخصصها .

أما الرجل فهو وإن كان لديه الاحساس العاطفي ، ولا يمكن أن يتفاعل أو يتعامل مع الناس ، خصوصاً أفراد عائلته كزوجته وأولاده ، الا على أساس من هذا الاحساس ، إلاّ أنّه إلى التعقل أقرب منه إلى العاطفة ، وإن الفعاليات العقلية لديه اقوى من الفعاليات العاطفية، لذلك خصه الاسلام بالولاية والقضاء والقتال والعمل الشاق ، وحمّله نفقة المرأة وجبر ذلك له بالسهمين في الأرث ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾[1] .

ولكن النتيجة تكون في الحقيقة أن الرجل والمرأة يقتسمان الميراث نصفين ، تعطي المرأة ثلث سهمها للرجل في مقابل نفقتها ، أي الأنتفاع بنصف ما في يده .

---

(١) سورة النساء آية ١١ .

فيرجع في الحقيقة إلى أن ثلثي المال في الدنيا للرجال ملكاً وعيناً ، وثلثيهما للنساء انتفاعاً . فالتدبير الغالب إنما هو للرجال لغلبة تعقلهم ، والانتفاع والتمتع الغالب للنساء لغلبة احساسهن[1]

(١) الميزان في تفسير القرآن للحجة الطباطبائي ج ٢ ص ٢٨٨ .

الزواج

« الزواج هو ارتباط يتم بعقد يبرم بين الزوجين أو من يمثلهما ، يباح بمقتضاه لكل من الرجل والمرأة الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع ، وهو ما تقضي بـه الفطرة السليمة ، وتترتب عليه حقوق وواجبات لكل من طرفيه . وتنشأ عنه تبعات لما يكون بين الزوجين من نسل ، وما يتصل بهما بقرابة أو مصاهرة »[1] .

وعرفه العقاد : بأنّه صلة شرعية بين الرجل والمرأة ، تسن لحفظ النوع البشري وما يتبعه من النظم الاجتماعية[2] .

ووصفه الغزّالي : بأنه فيه راحة للقلب وتقوية له على العبادة ، وفي الأستئناس بالنساء من الراحة ، ما يزيل الكرب ، ويروّح القلب[3] .

وعرّفه محمود بن الشريف : هو : الحصن الذي يرد عن المرء جموح الغزيزة ويدفع غائلة الاشتهاء ويحفظ الفرج ويصون العرض ، ويحول دون التردي في مزالق الفجور ومهاوي الفاحشة[4] .

والنكاح لغة : هو الوطيء ، ويقال على العقد وقيل مشترك بينهما .

وشرعاً : هو عقد لفظيّ يملك للوطيء ابتداءً ، وهو من المجاز تسمية للسبب بأسم المسبب وفيه فضل كثير[5] .

---

(١) الزواج والطلاق في الإسلام . زكي الدين شعبان .

(٢) المرأة في القرآن ـ عباس محمود العقاد ص ٧٦ دار الهلال .

(٣) الأسرة في المجتمع العربي بين الشريعة والقانون . محمد عبد الفتاح الشهاوي ص ١٠ .

(٤) الإسلام والأسرة . محمد عبد الفتاح الشهاوي ص ٥٨ .

(٥) كنز العرفان للسيوري ج ٣ ص ٣ دار الأضواء النجف .

فالزواج إذاً رابطة شرعية تربط بين الرجل والمرأة ، يحفظ بها النوع البشري . ولقد أجازتها الشرائع السماوية المتقدمة بأجمعها ، وأكد الاسلام عليها وندب إليها الشارع هكذا في كل تشريعاته . وبناء على ما للزواج من خطورة ومكانة مهمة في النظام الاجتماعي ، تولّي الشارع المقدس رعايته بدقة وتفصيل ، حيث فصل قواعده ، وحدد أحكامه منذ اللحظات الأولى للتفكير فيه حتى اتمامه ، حيث يتم الاستمتاع لكل من الزوجين بشريك حياته .

ثم أولاه عناية فائقة ، واحاطه بالاهتمام البالغ من بدايته حتى ينتهي بالموت أو بغيره .

ولم يفسح الشارع المقدس المجال للناس ؛ ليضعوا له ما شاءوا من أنظمة وأحكام ويقيموا له ما يرتضون من قواعد وأصول .

بل تولاه الشارع تفضلاً منه ، وتحنناً بالعباد ، فوضع له أصوله ونظم أحكامه ، علماً منه بأن العباد عاجزين عن أن يضعوا له التصميم الصالح ، الذي يبتنى عليه الكيان الأجتماعي الرصين ، الذي لا يداخله ضعف ، ولا يعتريه وهن ؛ ليكتسب الزواج بهذه الرعاية المقدسة والحماية ما يشعر الزوجين بأنهما يرتبطان برباط مقدس يشمله الدين بقدسيته في كل لحظة من مراحله ؛ فيسكن كل منهما إلى صاحبه عن رضىً وأختيار ، ويطبقان عليهما أحكامه بطيب نفس وأرتياح بال ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[1] .

كما ورد في المأثور عن النبي (ص) : ما استفاد امرؤ فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة ، تسره إذا نظر إليها ، وتطيعه إذا امرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله[2] .

---

(١) سورة الروم آية ٢١ .

(٢) كنز العرفان للحجة السيوري ج ٣ ص ٤ دار الأضواء طبع النجف.. والكافي ج ٥ ص ٣٢٧

وفي صحيحة صفوان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : تزوجوا وزوجوا ، الاّ فمن حظ امريء مسلم أنفاق قيمة أيمـة[1] ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر في الاسلام بالنكاح ، وما مـن شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الاسلام بالفرقة . يعني الطلاق[2] .

وعن علي بن محمد بن بندار ، عن أحمد بن محمد بن خالد عن الجاموراني عن الحسن بن علي بن أبي حمزه ، عن كليب بن معاوية الاسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : من تزوج أحرز نصف دينه[3] .

---

(١) الأيمة : المرأة التي لا زوج لها بكراً كانت أم ثيباً .

(٢) الوسائل ج٧ ص٥ محمد بن الحسن الحر العاملي - والكافي ج٥ ص٣٢٨ - وكنز العرفان ج٣ ص٤

(٣) الوسائل ج٧ ص٥ محمد بن الحسن الحر العاملي طبع دار احياء التراث العربي بيروت ومكارم الأخلاق للشيخ الجليل الحسن بن الفضل الطبرسي ص١٩٦ منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت .

الرغبة في الزواج

أكد الاسلام على الزواج وندب إليه محبباً ، حيث ورد عن النبي (ص) : ما بني بناء في الاسلام أحب إلى الله من التزويج[1] .

وذكر علي بن الحسين المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه ، نقلاً عن تفسير النعماني بإسناده عن علي (ع) قال : أن جماعة من الصحابة كانوا حرموا على أنفسهم النساء والأفطار بالنهار والنوم بالليل ، فأخبرت أم سلمة رسول الله (ص) فخرج إلى اصحابه فقال : أترغبون عن النساء ، إني آتي النساء ، وآكل بالنهار ، وأنام بالليل ، فمن رغب عن سنتي فليس مني[2] ، وأنزل الله : ﴿ **لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**﴾ [3] .

فقالوا : يا رسول الله إنا قد حلفنا على ذلك فأنزل الله : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** ﴾ : إلى قوله : ﴿ **ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم** ﴾ [4] .

وروي عنه (ص) أنه قال : من أحب فطرتي فليستن بسنتي ، ومن سنتي النكاح[5] .

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ١٩٦ طبع مؤسسة الاعلمي بيروت .

(٢) الوسائل للشيخ العاملي ج ٧ ص ٨ دار احياء التراث العربي بيروت .

(٣) سورة المائدة آية ٨٨ .

(٤) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٥) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ١٩٦ منشورات الأعلمي بيروت .

وكذلك : من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا ﴿ **التمسوا الرزق بالنكاح** ﴾ [1] .

ولما كان الزواج كما مرّ في تعريفه ، صلة شرعية بين الرجل والمرأة لحفظ النوع البشري ، تترتب عليه حقوق وواجبات ، وتنشأ عنه تبعات ومسؤليات بين الزوجين ونسلهما ، وما يتصل بهما بقرابة أو مصاهرة ، من حيث الميراث والعيلولة ، حسب ما يقتضيه التكافل الاجتماعي . كان لزاماً على طالب الزواج والراغب فيه أن يحسن اختيار شريك حياته الزوجية ، فلا يصح للرجل أن يكون همه في الزواج مُركّزاً ومُنْصبّاً على أن يقترن بامرأة ذات جمال فاتن ، أو ثراء طائل ، أو من أسرة تتمتع بجاه دنيوي ، أو من عائلة ذات مركز وسلطان ، من غير اهتمام بما تكون عليه من خلق ودين .

فأن مثل تلك الزوجة قلّما تصلح معها الحياة الزوجية . حيث يسدل جمالها أو ثراؤها أو جاهها الستار على الكثير من العيوب التي سرعان ما تتكشف فتجعل من حياتهما جحيماً لا ينفع معها إلا الفراق .

وقد حذر النبي (ص) من الاقتران بمثل تلك الزوجة ، إذ خطب في المسلمين يوماً وقال : أيّها الناس إيّاكم وخضراء الدمن ، قيل : يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء [2] .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها أو لمالها أوكل إلى ذلك ، وإذا تزوجها لدينها رزقه الله المال والجمال [3] .

وروى هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا تزوج الرجل المرأة لمالها أو جمالها لم يرزق ذلك ، فإن تزوجها لدينها رزقه الله جمالها ومالها [4]

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ١٩٦ منشورات الأعلمي بيروت .

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٣ ص ٢٤٨ دار الكتب الإسلامية مطبعة النجف .

(٣) وسائل الشيعة الشيخ محمد بن الحسن العاملي ج ٧ ص ٣٠ طبع دار احياء التراث العربي بيروت .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٤٨ الطبعة الرابعة دار الكتب الإسلامية النجف الأشرف .

وفي تحذير رسول الله (ص) تنبيه مؤكد لقوله (ص) إيّاكم وخضراء الدمن ثم تفسيره الذي أجاب به على السؤال الثاني يوضح بشكل جازم على اجتناب مثل تلك الزوجة . فهو يقول عنها : المرأة الحسناء في منبت السوء .

ومنبت السوء هو البيئة السيئة التي تنشأ المرأة فيها ، سواء كانت البيئة هي المجتمع الذي تعيش فيه أو العائلة المتحللة التي ترعرعت بين احضانها ، أو المعهد الذي تعلمت فيه وحددت على ضوء ثقافتها منه مسيرتها في الحياة .

ولما كان على طالب الزواج أو الراغب فيه أن يحسن اختيار شريك حياته ، فيلزم كذلك للزوجة بعد أن فسح الاسلام امامها المجال ، لاختيار شريك حياتها أن تحسن الاختيار ، كما لزم حسن الاختيار للزوج ، إذ أنها وهو في هذا الأمر سواء ، تجنباً للمحاذير والمشاكل التي تنشأ عن الاهمال والارتجال ، واللامبالاة في تحديد شخصية الزوج ، والتي إن حصلت لا تهدم حياة المرأة وحدها فحسب ، بل تتجاوزها إلى التطويح بكيان العائلة ، والتفريط بزوجها وأولادها إن كانت قد أنجبت منه اولاداً . فتدفع الثمن غالياً وباهظاً .

فالزواج وإن كان في ظاهره قضيّة شخصية ، ولكنه في نتاجه قضيّة اجتماعية (١)

فالأسرة أو المجموعة التي يكونها كل من الزوج والزوجة ، بعد ارتباطهما بالحياة الزوجية ، هي حجر الزاوية في بناء المجتمع ، أو اللبنه الاساسية التي يتوقف عليها صلاح هذا البناء .

وعلى هذا فمسئولية الزوجين المترتبة على حياتهما الزوجية هي في واقعها مسئولية كبرى ، ينبغي أن يهتم بها الزوجان قبل الأقدام على الزواج ، وقبل أن يشدهما رباطه المقدّس .

---

(١) الأسرة المسلمة للسيد عدنان البكاء ص ٢٩ دار الغدير بيروت .

الحاجة إلى الزواج

وبعدما اتضح لنا أن الزواج هو الطريقة الطبيعية التي يحفظ بها النوع البشري ، وما يتبعه من النظم الاجتماعية ، إذاً فالحاجة إليه لا يمكن الاستغناء عنها ، إذ لولاه لا نطمست معالم الحياة ، ولما كان هناك أي أثر للحضارات والمدنيات على وجه الكوكب الأرضي ، اضف إلى ذلك أن الحاجة إليه من الناحية الجسدية حاجة ضرورية يتوقف عليها اشباع الغريزة الجنسية التي لا يمكن الغاءها لا ستحالته ، وكونها من الأمور الفطرية . ولا يمكن كبتها لأن كبتها يؤدي إلى ارباك الحيـــاة الانسانية ، وتعثرها في مسارها الاجتماعي . ذلك لأن الطاقة الجنسية في الانسان تمتد بطبيعتها إلى قمة روحه ونفسه وكيانه ، وأن الطاقة إذا كبتت لا تفقد ، وإنما تنحرف عن مسارها الطبيعي إلى مسار آخر . فكذلك نجد أن كبت الغريزة الجنسية يؤدي بالإنسان إلى الانحراف . وهذا الانحراف عند الرجل عن المرأة هو « اللواط » وعند المرأة عن الرجل هو « السحاق » أو هو اللجوء إلى العادة السرية عند الطرفين .

هذا بالاضافة إلى ما يترتب على الكبت من اضرار نفسية وصحية وعقلية ، إذ أن الرغبة إلى الجنس أو الجوع الجنسي بتعبير اصح ، انما ينشأ من رغبة الجسم والعقل والنفس ، في البحث عن شيء يلبي احتياجاتها جميعاً . هذا بالنسبة لكبت الغريزة الجنسية . وأما اطلاقها بشكل غير منتظم فلا يصح ، إذ أنه يؤدي إلى اشاعة الفوضى وهدم الأخلاق والقيم ، وضياع الأنساب وكثير من الحقوق المترتبة عليها .

وبعد هذا نجد أن حاجة المرأة إلى الزواج كحاجة فطرية ضرورية ، هي نفس حاجة الرجل إليه . فالمرأة بحاجة إلى الرجل والرجل بحاجة إلى المرأة .

وهي تستر عيب الرجل الذي تقترن به ويكون لها زوجاً ، وتحفظه من رذائل الحياة ودناءة الرذيلة ، كما يسترها هو ويحفظ كرامتها ﴿ **هن لباس لكم وأنتم**

لباس لهن ﴾ [1] **﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾** [2]

فقوله تعالى: **﴿ هن لباس لكم ...... ﴾** . هو أحسن تصوير فني صوّر القرآن به الزوجين في حاجة كل منهما إلى الآخر .

فاللباس هو ما يستر الانسان به عورته وبدنه عن الناظرين ، ويظهر به امامهم بالمظهر المناسب ، فكذلك أن كلاً من الزوجين حيث يمنع صاحبه بما يحقق له من متعة جنسية ، عن اتباع الفجور والتردي في مسارب الرذيلة ، فهو يحميه ويستره عن أن ينحدر وراء مشتهيات النفس الغريزية ، ويكفه عن الابتذال والانخراط في عثرات الجنس البهيمية ، ويرفعه عن التنازل الى مستوى الحيوان الذي لا هم له الا اشباع نهمه الجنسي . فكما أن اللباس يستر صاحبه عن الناظرين ويحمي سوءته بين الناس من الابتذال ، فكذلك أن كلاً من الزوجين لباس للآخر ، يقي صاحبه بالتمتع به عن البحث للتمتع بغيره ، فهو يحميه بمتعته المشروعة عن المتعة المحرمة بغيره غير المشروعة .

فقد روي عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : جاء رجل إلى أبي (ع) فقال له : هل لك زوجة ؟ قال : لا ، فقال ابي : ما أحب ان لي الدنيا وما فيها وإني ،بت ليلة وليست لي زوجة ، ثم قال : الركعتان يصليهما رجل متزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره . ثم اعطاه ابي سبعة دنانير ثم قال : تزوج بهذه ، ثم قال أبي قال رسول الله (ص) : اتخّذوا الأهل فأنّه أرزق لكم [3] .

ولما كان الرجل والمرأة كل منهما لباس للآخر ، فمن الواجب على المرأة أن تظهر أمام زوجها بأحسن حال يحبه ، وعليه أن يكون معها على أفضل حال تحبه ، ويكون تحابهما وفق ما يرتضيه الله سبحانه ، وتطبيقاً لمسئولياتهم أمام الأجيال المتعاقبة .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٢) سورة الروم آية ٢١ .

(٣) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ ص ٧ باب النكاح ـ دار إحياء التراث العربي بيروت .

الغرض من الزواج

- إن الاسلام حين اعطى حق اختيار الزوج الكفوء كل من الزوجين ، أراد بذلك الحق أن يجنب الإنسانية شرور الحياة الاجتماعية ، ويصوغ في هذه الدنيا احسن مجموعة بشرية متحابّه ، متعايشة بسعادة وهناء « اسمها المجتمع الاسلامي ؛ ولتسير على هدي هذه المجموعة بقية المجموعات البشرية ، منتظمة في مسيرة واحدة .
وإعتبر الاسلام إكراه أحد الزوجين على الزواج من زوج لا يرغب فيه كل زواج والعقد بينهما باطل ، لأنه عقد لم يكن مبنياً على الاختيار ولم ينشأ تحت ظروف طبيعية .

ولّما كان العقد الصحيح مبنيّاً على ركنين اساسيين ، يجب توافرهما فيه ، هما الإيجاب والقبول . فإن العقد الباطل هو الذي لم يكن معتمداً على هذين الركنين ؛ لأن الأكراه أمّا أن يكون متوجهاً إلى الزوجين معاً ، فيفرض عليهما زواج لا يرغبان فيه ، أو يكون متوجهاً إلى احدهما دون الآخر . فإن توجه على الزوجة فقد العقد ركن الإيجاب وإن توجه على الزوج فقد العقد ركن القبول . ويكون العقد في الحالات الثلاثة فاقداً للصحة وهو باطل .

إلاّ على رأي من ذهب إلى القول ، بأن العقد ينشأ متزلزلاً حتى تلحقه الاجازة ممن فرض عليه الزواج ، فأن رضي به من أكره عليه استقر العقد وأصبح صحيحاً ، والاّ فهو باطل .

ولهذا السبب (الاكراه) ولغيره من الاسباب أللانسانية إنحرف ابناء الأمة عن خط مسيرتهم السليم ، وأرتموا في احضان المدنية البغيضة المعاصرة .

وقد ندب الاسلام إلى معاملة الزوجين بعضهم بعضاً ، في مخدعهم الخاص ،

معاملة المساواة في الشعور ، وتهيئة كل منهما الآخر ؛ ليحصل بذلك لهما التوافق النفسي والجسدي في ممارسة عملية الاتصال الجنسي . حيث ورد في المأثور عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « فإذا اتى أحدكم اهله فليكن بينهما مداعبة فإنه اطيب للامر[1] .

غير أن الأفراط الذي تعيشه الأمّة الآن تحت وطأة الأنفلات السلوكي ، جعل الانسان ذكراً أو انثى يعيش حياة الجنس بشكل يمقته ولا يرتضيه ، وان هو اقدم باختياره ، كما نراه مثلاً في بلاجات الشواطي ومسابح النوادي وغيرها .

وهاك ما تتحدثه لنا بنت من بنات هذه الأمة على صفحات ـ مجلة طبيبك ـ تحت عنوان ـ الاغتلام في مفهومه القديم والحديث ـ فتقول عمري ثلاث وعشرون سنة ، وبدأت اجامع الشباب في السادسة عشرة ، اثناء العطلة الصيفية على الشاطىء فقد اعطاني اهلي الحرية التامة ، وصار من الصعب أن ابقى عذراء في مثل هـذه الحالة . ورأيت رفيقاتي يمارسن الحب ، ثم رحن يحرضنني عليه ، بحجة أنه يلين السحنة وينفع الدورة الدموية ... الخ ، ورأيتني جميلة جذّابة ، يطيب لي أن يدور حولي الشباب ، فلم امانع في التلبية . وانشأت عدة علاقات جنسية ، غير اني بالرغم من شعوري ببعض اللذة احياناً ، شعرت بخيبة الأمل ، لأن الحب الذي انتظرته والذي انتظره هو الحب الحقيقي ، وليس عملية حيوانية ، فأصبت بعلة البرود وصرت لا أطيق أن يمسني أيٌّ من اولئك الرجال الذين كنت أنام معهم باختياري دونما أية ممانعة [2].

هذه هي النهاية التي تنتهي إليها المرأة وهي تجري وراء شعارات الجاهلية .

وحسبك ما يقدمه الغرب من داء وبيل ، إلى الأمة الاسلامية ، بمثابـة داء السرطان المخيف ، تحت عنوان التطور والابتكار في عصر النور والذرة ، الا وهو

(١) مكارم الأخلاق للحسن بن فضل الطبرسي ص ٢١٢ منشورات الأعلمي بيروت ووسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ النكاح ص ٨٢ طبع إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) مجلة طبيبك عدد ١/٢٢٦ حزيران (يونيو) ١ تموز ١٩٧٥ م .

سباق اختيار ملكات الجمال ، والذي تجري كيفيته على أساس من الفحوص الجسدية عند التصنيف والانتخاب ، وقياس الجسم بالسنتيم وما قل عنه ، حيث الخصر والصدر ، والكتف والردف ، والساق والعنق ، والنهدين والفخذين ، وما تعالى وما تدانى قبلاً ودبراً .

وتعددت ملكات الجمال على طريقة الابتكارات الغربية ، التي هي في واقعها احتقار للمرأة ، ونعم ما قاله شوقي في هذا المجال :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء[1]

وتعددت اصناف ملكات الجمال ، فلكة جمال العيون ، وملكة جمال الصدر وملكة جمال الشعر ، وملكة جمال الساقين ...... الخ ، حتى ضاقت الاعداد عن استيعاب الاصناف .

ولا ندري متى يفيق الناس من سباتهم العميق ؟ ليفهموا طريقة أخرى للتصنيف تنسجم والخط الانساني الذي يمجد الروح ، وترتقي بها على أساس احترام المرأة ، واخضاعها إلى مقياس التقوى : ﴿**إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[2]، بدلاً من وإخضاعها لمقياس السنتيمترات والمليمترات . ويقدم لنا الانتخاب ملكات جدد هُنّ : ملكة الأخلاص ، وملكة الوفاء ، وملكة الصدق ، وملكة الإيمان ، وملكة المحبة والتعاون ، وملكة العفة والحشمة ، وملكة العبادة والتقوى .

ومتى يرجع الناس إلى مسارهم الطبيعي ؟ لاستعادة مكانتهم بين الشعوب ، ومركزهم القيادي في المجموعة البشرية ﴿ **كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[3] .

---

(١) الشاعر المعروف أحمد شوقي .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ١١٠ .

أخذ رأي المرأة في اختيار الزوج

إن طلب يد المرأة من اهلها من التقاليد والاعراف المتسالم عليها في الاسلام وغيره ، ولكن الذي يفترق به الاسلام عن غيره ، أنه قرر الرجوع في امر قبول الزواج أو رفضه إلى المرأة .

فقد روي عن الإمام علي (ع) أنه ذكر حديث تزويجه من فاطمة عليها السلام وأنه طلبها من رسول الله (ص) فقال : يا علي انه قد ذكرها قبلك رجال ، فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك ، فدخل عليها ، فأخبرها وقال : أن علياً قد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين ؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيه رسول الله (ص) كراهة ، فقام وهو يقول : الله اكبر سكوتها اقرارها[1] .

وعن صفوان عن منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال : تستأمر البكر وغيرها ولا تنكح الا بأمرها[2] .

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا كانت المرأة مالكة امرها تبيع وتشتري وتعتق وتشهد وتعطي من مالها ما شاءت فإن امرها جايز تزوج إن شاءت بغير إذن وليها ، وإن لم تكن كذلك فلا يجوز تزويجها الا بأمر وليها[3] . وقد أراد بالمالكة لأمرها الثيب وغيرها البكر .

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ ص ٢٠٦ دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ٢١٤ .

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ٢١٥ .

وذكر أن فتاة جاءت إلى رسول الله (ص) تشكو اباها فقالت : يا رسول الله أن أبي زوجني من ابن أخ له ليرفع خسيسته وأنا له كارهة ، فقال : (ص) اجيزي ما صنع أبوك ، فقالت : لا رغبة لي فيما صنع أبي ، فقال : (ص) : إذن فأذهبي وتزوجي من شئت ، فقالت : لا رغبة لي عمّا صنع أبي[٢]

وتدل تلك الأحاديث على أن الثيب لها أن تزوج نفسها ولا دخل لولي امرها في شأن زواجها ، وأما البكر فإنها تزوج بأذن وليها ، إن كان في ذلك مصلحة يرتضيها الشرع ، والا فلها أن تستقل وتسقط ولايته .

جاء رجل يستشير الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في تزويج ابنته لابن أخيه ، فقال له الإمام عليه السلام : أفعل ويكون ذلك برضاها فإن لها من نفسها نصيباً[٢] .

وجاء رجل إلى الإمام الحسن عليه السلام يستشيره في تزويج ابنته ، فقال (ع) زوجها من رجل تقي ، فأنه إن احبها اكرمها وأن ابغضها لم يظلمها[٣] .

هذا هو رأي الاسلام صريحاً في اعطاء المرأة الحق في اختيار زوجها الـذي يشاركها الحياة وتعيش معه ، وهذه هي احكامه العادلة التي ارتقت بالمرأة إلى أفق الحرية ، والى حياة الكرامة ، في عصر لم يحسب للمرأة فيه أي حساب ، وقرر الرجوع إليها في أمر قبول الزواج ورفضه باستثناء بعض الحالات وهي :

١ ـ إذا أرادت الزواج من الكافر ، فأنها تمنع من ذلك لمخالفته للشرع .

٢ ـ إذا ترتبت على زواجها من المسلم مصلحة اسلامية ، وامتنعت عن قبول الزواج منه ، فلولي الأمر المفترض الطاعة (المعصوم) الحق في أن يزوجها منه وإن أبت كما حصل ذلك مع زينب ابنة جحش ، وهي ابنة عمة النبي (ص) واليك قصتهـا :

كان المجتمع الجاهلي يدخل المتبنّى « بالالف المقصورة » في نسب المتبنّي

---

(١) وسائل الشيعة ج ٧ ص ٢١٤ دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢٠٤ منشورات الأعلمي بيروت .

(بالياء) ويرتب عليه نفس الآثار والأحكام التي تترتب على الابناء ، من ميراث وامتناع عن الزواج ممن حرمن على المتبنّي (بالياء) وذريته ، كما وأن المجتمع الجاهلي لا يسمح بتزويج الادعياء والعبيد بعد عتقهم من غير فئآتهم ، إذ يعتبرهم أقل من غيرهم نسباً . وهذا أمر ملحوظ في كافة المجتمعات التي يجد التمييز طريقاً إليها ، فيصبح ذلك امراً شائعاً فيها .

فلما بعث النبي (ص) برسالة الاسلام لتغيير الواقع الجاهلي السيء ، وإخراج الناس منه ، إلى الواقع الصالح والحياة الأفضل ، كان لا بد له من استبدال العادات والتقاليد والأعراف المخالفة للخط الانساني .

لذلك فكر الرسول محمد (ص) في كيفية القضاء على استبشاع تزويج العتقاء والادعياء من جهة ، وفي بيان أن الادعياء ليسوا بأبناء ، فإدخالهم في انساب المتبنين لهم ليس صحيحاً من جهة ثانية ، وليرفع من مكانة ازواج الادعياء والعتقاء ذكوراً واناثاً من ناحية اجتماعية ، ليتزوجهم الناس بعد وفاة ازواجهم ، أو بعد الطلاق منهم من جهة ثالثة .

ولكن لا بد من تخطيط واستعداد ، ومناقشة لا بعاد القضية ، وتهيئة الاطراف التي تقوم بتنفيذ الأحكام الناسخة للاوضاع الجاهلية والالتزام بالتقاليد والعادات والاعراف البديلة ، من أجل القضاء على التقاليد والعادات والاعراف البالية الظالمة بالطريقة التي وضعها النبي (ص) لتكون موضع التنفيذ .

وبعد التفكير والتأمل رأى النبي (ص) أن يختار لتطبيق الاحكام وتمرير التجربة مولاه زيداً وابنة عمته زينب ابنة جحش .

فذهب النبي (ص) إلى عبد الله بن جحش ، وخطب منه أخته زينب لزيد فرفض كل من عبد الله وزينب ، أن يكون زيد زوجاً لزينب . فنزل أمين الوحي جبرئيل عليه السلام على النبي (ص) بأمر الله تعالى من أجل تزويج زينب من زيد ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم**

ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾[1] .

وعندها خضع عبد الله وزينب لأمر الله تعالى ، وتزوجت زينب من زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ، وقد دفع رسول الله (ص) صداقها ، وبهذا الزواج الذي تم من أجل مصلحة اسلامية عليا ، نسف النبي (ص) قاعدة الاعراف في الزواج من الادعياء والمعتقين ، وطبق قاعدة اسلامية وهي ـ لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا لأبيض على اسود الاّ بالتقوى ـ كلكم لآدم وآدم من تراب ـ التزاماً بمقياس الغاء التمييز العنصري ، الذي حدده القرآن ﴿ **إنّ اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾[2] .

لكن زينب لم تكن سلسة القياد لزيد ، فقد كانت تفخر عليه بنسبها ومكانتها الاجتماعية ، باعتبارها أبنة عمة رسول الله (ص) .

واشتكى زيد إلى رسول الله (ص) من زينب مراراً ، وطلب منه طلاقها ، غير أن النبي (ص) كان يأمر زيداً بالرجوع عن ذلك ، والتسامح مع زينب ، ويقول له : « امسك عليك زوجك واتق الله »[3] .

ولما وجد الرسول (ص) أن لا فائدة ترجى من بقاء زينب تحت زوجية زيد ، لعدم انسجامها ، ولا أمل في أن تصبح حياتهم هانئة سعيدة ، طلّقها منه . وبعد خروجها عن زوجية زيد ، فكر النبي (ص) ثانية في بيان حكم اسلامي آخر يهدم به آخر كيان لأحكام الجاهلية الرعناء في الزواج ، حيث كان في عرف الجاهليين ، أن التي تتزوج من دعيّ أو عتيق ، لا يتزوجها أحد من بعده ، إلاّ من كان من من فئته الاجتماعية ، وإن كانت في نسبها ، أو قيمتها الاجتماعية ابنة سيد العرب .

فأراد النبي (ص) أن يلغي هذه العادة البغيضة ، ويبطل هذا العرف الاجتماعي المقيت ، فخطب زينب لنفسه . ولكن بعد تردد وتأمل ، حيث خشي تقول الناس في هذا الزواج ، خصوصاً وأن زينب كانت زوجة دعيّه وعتيقه .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٦ .

فنزل جبرئيل عليه السلام بأمر الله تعالى إلى النبي (ص) بالزواج من زينب : ﴿ **وتخفي في نفسك ما الله مبديه .وتخشى الناس والله احق أن تخشاه ، فلمّا قضى زيد منها وطراً زوجناكها ...** ﴾ [1] .

وعندها تزوجها النبي (ص) ، وقرت عينها حيث أرتفعت إلى مرتبة امومة المـؤمنين .

هذه هي قصة زواج زينب من زيد ثم من رسول الله (ص) . حيث اتضح لنا من خلالها ان زواج المرأة ، وإن كان قد اعطى الاسلام لها فيه حق اختيار من من ترضاه ، ولكن لا مطلقاً .

وأن من الحالات التي يستثنى فيها هذا الحق ، فيما إذا ترتبت على اجبارها مصلحة اسلامية عليا ، فيكون حينئذٍ لولي الأمر المفترض الطاعة تزويجها وان أكرهت .

وهناك قصصاً أخرى تحدثنا عن اجبار المرأة على الزواج ممن لا تحب : لمصلحة اسلامية ، منها زواج الدلفاء من جويبر . والقصة هي :

قال ابو جعفر عليه السلام : أن رجلاً كان من اهل اليمامة يقال له جويبر ، اتى رسول الله (ص) منتجعاً للاسلام ، فاسلم وحسن اسلامه ، وكان رجلاً قصيراً دميماً محتاجاً عارياً ، وكان من قباح السودان ، إلى أن قال : وأن رسول الله (ص) نظر إلى جويبر ذات يوم برحمة له ورفقة عليه ، فقال له : يا جويبر لو تزوجت امرأة فعففت بها فرجك واعانتك على دنياك وآخرتك ، فقال له جويبر : يا رسول اللهبأبي أنت وأميّ من يرغب فيّ ؟ فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال ، فأية إمرأة ترغب فيّ ؟ فقال رسول الله (ص) : يا جويبر أن الله قد وضع بالاسلام من كان في الجاهلية شريفاً وشرف بالاسلام من كان في الجاهلية وضيعا ، واعز بالاسلام من كان في الجاهلية ذليلاً ، واذهب بالاسلام ، ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق انسابها ، فالناس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم وقرشيهّم وعربيّهم وعجميّهم من آدم ، وأن آدم خلقه الله من طين ، وإن احب الناس إلى الله اطوعهم

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

له واتقاهم ، وما أعلم يا جويبر لا حد من المسلمين عليك اليوم فضلاً الآ لمن كان اتقى لله منك وأطوع . ثم قال له :

أنطلق يا جويبر إلى زياد بن لبيد فأنه من اشرف بني بياضة حسباً فيهم فقل له : إني رسول رسول الله إليك ، وهو يقول لك زوج جويبر ابنتك الدلفاء ، الحديث ، وفيه أنه زوجه إيّاها بعدما راجع النبي ، فقال له (ص) : يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفو المؤمنة ، والمسلم كفو المسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه[1] .

وقد ورد عن رسول الله (ص) أنه قال : أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، ليعلموا أن أشرف الشرف الاسلام[2] .

وهذا ما قدمناه بين يدي القاريء الكريم في مجال الحالات الاستثنائية ، أما في غير الحالات الاستثنائية ، فالأمر راجع إليها ولا تكره على الزواج ، فلها الحق في اقرار الزواج ولها رفضه .

غير أن الناس لّما تنكّروا للمرأة ، فقدت حقها الطبيعي ، بل كل حقوقها ، وليس هناك من ذنب للاسلام ، وإنما الذنب ذنب الناس أنفسهم حينما انحرفوا عن رسالتهم في الحياة ، وجهلوا أو تجاهلوا ما للمرأة من حقوق حققها الاسلام ، قلّما ظفرت بها الحضارات والتشريعات الأخرى .

فالجريمة إذاً جريمة من عرفوا الحق وقلبوا له ظهر المجن ، وسكتوا عنه فلم يظهروه ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ، وتركوا المرأة في مسرح الدعايات الأجنبية عرضة للتعاليم والتقاليد المعادية ، التي تصلها تحت ستار التمدن ، ورمز التقدم ، وخداع الحرية .

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ ص ٤٤ دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢٠٧ منشورات الأعلمي بيروت .

اختيار الزوج بشكل غير مباشر

يتضح مما مرّ أن المرأة تارة تتولى اختيار زوجها بنفسها مباشرة ، وبالطريقة التي تنسجم والخط الشرعي . وتارة تنيب عنها من يتولى ذلك ، كما حصل لميمونة زوجة رسول الله (ص) ، حين جعلت امر تزويجها بيد اختها أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ، وأوكلت أم الفضل تزويج اختها إلى زوجها العباس ، فجاء إلى رسول الله (ص) وعرض عليه أن يتزوج ميمونه فقبل النبي (ص) ، واصدقها اربعمائة درهم ، وتم ذلك في مكة عندما جاء النبي (ص) إلى عمرة القضاء ، وبنى بها النبي (ص) بعد رجوعهم من مكة في مكان يقال له ـ سرف ـ وكانت ميمونة آخر أزواج النبي (ص) .

هذا وقد مرت علينا بعض الروايات خلال موضوع « أخذ رأي المرأة في اختيار الزوج » تشير إلى اختيار المرأة لزوجها بصورة غير مباشرة .

فرواية الفتاة التي شكت أباها إلى رسول الله (ص) يفهم منها ، أما أن يكون اباها قد زوجها حال صغرها لولايته عليها ، فاحتاج العقد عند بلوغها إلى اجازتها ، ولذلك قال لها الرسول (ص) : أجيزي ما صنع أبوك . وإما أن يكون قد اجبرها على الزواج .

وأما الرواية الثانية ، وهي رواية من استشار الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في تزويج ابنته من ابن أخيه ، فقال له الإمام (ع) : أفعل ويكون ذلك برضاها . فإنها يفهم منها التوكيل أيضاً ، أو يكون احتمال العقد عقداً فضولياً فاحتاج في اقراره الرجوع إليها ، ومع كلا الاحتمالين ، نفهم أن اختيارها للزوج كان بصورة غير مباشرة .

وأما رواية من جاء إلى الإمام الحسن (ع) يستشيره في تزويج ابنته فقال له (ع) : زوجها من رجل تقي فإنه إن احبها اكرمها ، وإن ابغضها لم يظلمها . فالذي يفهم منها أن تزويج الأب لأبنته ، من رجل تقي ، كما يشير عليه الإمام (ع) ، انما يكون في حالة ترك زواجها لأبيها ، وهذا من باب التحري عن الزوج الصالح لابنته ، فجاء يستعين برأي الإمام (ع) لئلا يزوج ابنته من غير الكفوء ، لأنه ورد في المأثور عن النبي (ص) أنه قال : من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه[1] .

وروي عن احمد بن أبي عبد الله عن ابراهيم بن محمد الهمداني قال : كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام في التزويج ، فأتاني كتابه بخطه ، قال رسول الله (ص) : « إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[2] .

وعن سهل بن زياد عن الحسين بن بشار الواسطي قال : كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام اسأله عن النكاح ، فكتب إليّ : من خطب إليكم ، فرضيتم دينه وامانته فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[3] .

وبهذا وضع الإمام (ع) قاعدة لاولياء الأمور ، في التحري عن الازواج الاكفاء لتجنب الافراط والتفريط . فلا يتهاونون في الأمر فتفقد الكفاءة قيمتها وتسقط عن درجة الاعتبار ، فيتساوى في ذلك المؤمن التقي والفاسق المتجاهر . ولا يتعصبون بشكل معقد ، فيلزم من ذلك تأخير الزواج وتفشي العزوبة ، التي تؤدي بدورها إلى انتشار الفساد وظهور الرذيلة .

وحين يتضح الطريق ويتجلى الأمر ، تستقر الحياة ، ويحضى الكفوء بقبيله ، ولا كفاءة الاّ بالإيمان ـ المؤمنون بعضهم اكفاء بعض ـ والكفوء هو أن يكون عفيفاً وعنده يسار[4] .

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الحسن بن الفضل الطبرسي ص ٢٠٤ منشورات الأعلمي بيروت .
(٢) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ ص ٥١ دار إحياء التراث العربي بيروت .
(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ٥١ .
(٤) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ ص ٥١ دار إحياء التراط العربي بيروت .

ويصبح شعار الطلب الرضا ، ومقياس الكفاءة الدين والخلق والامانة . ويقول اولياء الأمر بعضهم لبعض : من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته كائناً من كان فزوجوه إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

ويستحب للزوج إذا هم أن يبحث عن زوجة له ، أن يدعو الله سبحانه ، ويستعين به أن يوفقه إلى اختيار الزوجة الصالحة .

فقد روي أن الإمام الباقر (ع) سأل أبا بصير : إذا تزوج أحدكم كيف يصنع فقال : ما أدري جعلت فداك .

قال عليه السلام : إذا همّ بذلك فليصل ركعتين ، وليحمد الله عزّ وجل و ليقل : « اللهم اني أريد أن اتزوج اللهم فقدر لي من النساء احسنهن خلقاً وخُلُقاً ، واعفهن فرجاً ، واحفظهن لي في نفسها ومالي ، وأوسعهن رزقاً ، واعظمهن بركة ، واقض لي منها ولداً طيباً تجعله لي خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي » . فإذا دخلت عليه فليضع يده على ناصيتها ويقول : « اللهم على كتابك تزوجتها ، وفي أمانتك أخذتها ، وبكلماتك استحللت فرجها فإن قضيت في رحمها شيئاً فأجعله مسلماً سويّا ، ولا تجعله شرك شيطان » [1]

وهكذا يتم اللقاء بين الزوجين بعد اختيار كل منهما لشريكه ، وتبدأ حياتهما وفق خط الشرع الشريف .

(١) وسائل الشيعة ج ٧ ص ٧٩ .

الزواج في نظر الرسول (ص)
ودفع شبهة زواجه بأكثر من أربعة

لقد ورد في المأثور عن رسول (ص) أنه قال : « حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة »[1] .

وعند سماع هذا الحديث الوارد عن رسول الانسانية (ص) ، قد يتبادر إلى اذهان البعض من الناس ما ذهب إليه بعض المستشرقين الحاقدين ، من تفسير لهذا الحديث ، امثال (مْوِير) ومن كان على مذهبه من اعداء الاسلام .

إذ أنهم يصورون النبي (ص) انساناً لا هم له الاّ الترف في الحياة ، واشباع رغباته ومشتهياته النفسية والجسدية . فكأنه يريد أن يلبس ما راق له من اطيب اللباس وارقه ، من الحرير وغيره ، مما كان مألوفاً في عصره عند الملوك والزعماء ، ولا هم له إلاّ أن يخرج متأنقاً امام الناس ، تفوح منه ريح عطور الشام واليمن ، وأنه يعبد الجمال ويتغزل بحسناوات مجتمعه ، ويرغب أن تتعاقب النساء بين ذراعيه ليمتع شهوته ويشبع رغبته . إلى غير ذلك من التهم والشبهات ، التي لا يمكن أن تنطبق على واقع الرسول محمد (ص) كقائد امّة ورسول للإنسانية ، ولا على مفاهيم الاسلام واهدافه كمبدأ للمجموعة البشرية .

لذا كان لا بد من دفع الشبهات التي حشدها الحاقدون من المبشرين والمستشرقين ، ثم توضيح الحديث من أجل أن تنجلي الشبهة ، وتظهر الحقيقة بمظهرها الصحيح ، الذي يتناسب والمسلك الحقيقي للعقيدة الاسلامية كرسالة ، ويتوافق وحياة المسلمين في مسيرتهم كأمة .

---

(١) كنز العرفان للحجة المحقق المقداد السيّودي ج ١ ص ٢٢٢ منشورات دار الأضواء النجف الأشرف مطبعة القضاء .

ثم نفهم وجهة نظر الرسول في الزواج من خلال عرضنا للحديث .

تزوج رسول الله (ص) خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، في ريعان الشباب وقمة الجمال ، وعمرها يومئذ أربعون سنة . وبقيت وحدها زوجة له مدة ثمانية وعشرين سنة . رغم أن تعدد الزوجات كان امراً شائعاً في مجتمعه ، وله العذر لو تزوج عليها إذ لم يعش له منها ولد ذكر .

ولم يعرف أنه كان ممن يفتنون بالنساء وتغريهم مباهج الجمال .

وكانت النساء يوم ذاك متبرجة ، تبدي من الزينة ما حرمه الاسلام ، وأن زعماء قريش بل كل قريش يشرفهم أن يصاهرهم رسول الله (ص) فلا مانع إذاً يحول بينه وبين طالب الزواج من أي حسناء تعجبه ، ولكن لم يحصل ذلك .

وبهذا يفقد المستشرقون والمبشرون تقديم أي وثيقة تاريخية تدعم شبهتهم .

وليس من المعقول بعد اجتياز النبي (ص) مرحلة الشباب وفترة القوّة والفتوّة ، وبعد أن ماتت خديجة (ع) وتخطيّ هو الخمسين من عمره ، أن ينقلب إلى رجل شهوة ، تغريه النساء ويفتنه الجمال ، وتلح عليه الشهوة فيستجيب لا شباعها .

وربما يقال : إذن لم يكن الأمر كما يدّعون فكيف تزوج خلال مدة أقل من ثلاث عشرة سنة من النساء ما لا يقل عن تسع .

وللاجابة على ذلك نقول : لم يكن الزواج في نظر الرسول (ص) صلة ذكورة وأنوثة ، كما هو في نظر بيئته ومجتمعه ، فيكون زواجه ممن تزوجهن استجابة لغريزة مكبوتة ، ورغبة جنسيّة عارمة . هذا وأن منطق التاريخ اصدق من يرد على دعوى المبشرين والمستشرقين في قضية تعدد زوجات النبي (ص) بعد أم المؤمنين خديجة عليها السلام .

فإنه لم يشرك مع خديجة زوجة أخرى ، خلال ثمان وعشرين سنة ، فلما قبضها الله تعالى إليه ، تزوج النبي (ص) بعدها سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمر بن عبد شمس ، ولم يروَ أن لسودة من الجمال أو من الثروة أو من المكانة ما يُطمع طامعاً في الزواج منها .

إنما كانت سودة زوجة لرجل من السابقين إلى الاسلام ، الذين احتملوا من أجله الأذى ، والذين هاجروا إلى الحبشة بعد أن امرهم النبي (ص) بالهجرة عبر البحر إليها . وقد أسلمت سودة وهاجرت معه ، وعانت من المشاق ما عاني ولقيت من الأذى ما لقي ، وقد مات زوجها ، فماذا على رسول الله (ص) لو تزوجها بعدَ ذلك ليعولها وليرفع مكانتها إلى امومة المؤمنين ؟ أليس ذلك أمر يستحق من أجله النبي (ص) الحمد والتقدير ؟

وأما حفصة وعائشة فكانتا ابنتي صاحبيه أبي بكر وعمر . وهذا الاعتبار هو الذي دعا رسول الله (ص) أن يرتبط بعثمان وبعلي برابطة المصاهرة ، بتزويجه ابنتيه منهما .

وأما حب رسول الله (ص) لعائشة ، إن صح الحديث عنه ، فإنه حب نشأ بعد الزواج ، لأنه خطبها من ابيها وهي ما تزال في التاسعة من عمرها ، فبقيت عنده سنتين قبل أن يبني بها . فليس مما يقبله العقل أو يرضاه المنطق أن يكون قد احبها وهي في هذه السن .

فزواجه من سودة بنت زمعة ، إنما كان من أجل أن يعلم المجاهدون من المسلمين ، أنهم إذا استشهدوا في سبيل الله ، فلن يتركوا اطفالاً ونساءً يخشون عليهم العيلة .

أما زواجه من زينب بنت خزيمة ، فقد كانت زينب زوجة لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الذي استشهد يوم بدر ، وليس لها حظ من جمال ، ولكنها عرفت بالإحسان وطيب القلب حتى لقبّت بأم المساكين ، وقد تخطت مرحلة الشباب ، ولم تعش مع رسول الله (ص) الاّ سنة أو سنتين ، وكانت ثاني ازواج النبي (ص) اللتين توفيتا قبل موته ، فالأولى خديجة (ع) والثانية زينب بنت خزيمة .

وأمّا أم سلمة فقد جرح زوجها يوم احدَ وبرأ بعد ذلك من جرحه وخرج إلى حرب بني أسد وأنتصر عليهم ، فلما رجع إلى المدينة نفر عليه جرحه فمات .

ولما خرجت أم سلمة من عدتها طلب النبي (ص) يدها ، فاعتذرت بأن لها

اطفال من زوجها ، وأنها تخطت مرحلة الشباب ، فتكفّل لها النبي (ص) عيلولة اطفالها وتنشئتهم والعناية بها فرضيت .

هذا هو الزواج في نظر الرسول (ص) . وأما لو قيل لماذا حين نزلت آية الزواج ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىً وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** ﴾[1] . بتحديد عدد الزوجات أمر النبي (ص) المسلمين الذين بعصمتهم أكثر من أربع زوجات ، أن يمسكوا أربعة منهن ويسرّحوا الباقي ، ولم يفعل هو ذلك ؟ إذ قد جمع في العقد الأخير من حياته بين تسع زوجات .

نقول : أولاً : إن لرسول الله (ص) خصوصيات تخصه دون غيره ، شأنه في ذلك شأن زعماء الشعوب ورؤساء الدول ، الذين يأمرون بتنفيذ القوانين على شعوبهم ويستثنون أنفسهم من بعض تشريعاتها .

ثانياً : إن نساء النبي (ص) يختلفن عن غيرهن من النساء من حيث المرتبة الانسانية ، فقد جعلهن الاسلام بمنزلة الامهات فهن امهات المؤمنين .

فأن غيرهن من النساء ، إذا سرحهن ازواجهن يمكنهن الزواج من ازواج آخرين ، بعد خروجهن من عصمة ازواجهن الأوائل .

وأما ازواج النبي (ص) فلا ينطبق عليهن هذا الحكم ، لأنهن لا تنفك عنهن امومة المؤمنين ، فلا يصح لغير رسول الله (ص) أن ينكح احداهن بعد تسريحها اذ أنهن بمنزلة المحارم من النساء ، لذلك فإن تسريحهن فيه حيف لهن .

ثالثاً : إن الآية الكريمة ـ اعني آية تعدد الزوجات ـ نزلت في السنة الثامنة من الهجرة في وقت كان الرسول (ص) فيه متزوجاً بكل من في عصمته من زوجاته ، فلم تكن عندئذٍ مانعة من زواجه بالعدد الذي تحت عصمته ليقف عند المقدار المسموح به .

أما الآن فنعود إلى الحديث الشريف الذي صدّرنا به الموضوع ، لنفهم بعض

---

(١) سورة النساء آية ٣ .

مضامينه ، ونستفيد بعض ابعاده الرسالية ، التي أراد الرسول (ص) للأمة استيعابها وعندئذٍ لا بد من التمهيد لذلك .

فنقول : إن الأنسان ذلك المخلوق الذي بسط نفوذه على ما في الكوكب الارضي ، من حيوانات ونباتات وجمادات ، وتصرف بما في باطنه من معادن ، والذي بدأ يغزو الفضاء من أجل الوصول إلى الكواكب الأخرى ، ليبسط نفوذه وسلطانه عليها ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ [1] .

إن ذلك الانسان يعيش في هذا الكون الرحب الواسع وهو يتأثر به ويؤثر فيه ، وتربطه به روابط كثيرة . لذلك يلزمه تنظيم علاقته بهذا الكون ، ليعيش عيشاً رغيداً ويحيا حياة طيبة .

غير أن هذا التنظيم يجب أن يكون مبنياً على :

١ ـ شريعة ضامنة لمصالح الانسان كل الانسان منذ البداية ، تحقق له كل خير ، وتجنبه كل شر ، ليعيش كل مصلحة ويتجنب كل مفسده .

٢ ـ أن تتوحد على أساس من هذه الشريعة كافة المجموعة البشرية ، بناء على كونها صالحة لكل زمان ، وفي كل مكان ، تساير الانسان في كافة جوانب حياته .

ولا يتوفر هذان الشرطان في شريعة الا بعد فرض كمالها وسلامتها من كل نقص ، وفرض كمالها لا يمكن أن يتحقق الا مع صدورها من جهة كاملة .

ولّما كان الانسان ـ وهو أرقى نماذج الحياة على الأرض ـ ناقصاً فلا نتصور قدرته على جعل مثل تلك الشريعة ، وأن تصورنا وصوله إلى المستوى الملائم لتطوره الفكري . فلا بد من فرض صدورها من جهة وراء هذا الكون ، وهذه الجهة هي الخالقة لهذا الوجود بكل طاقاته وامكاناته ، وكل مكوناته وابعاده .

ومن هنا يجد الانسان نفسه أمام ثلاثة جوانب تكون له سرب الحياة الصالح ومنهجها المستقيم ، فلا بد له من التوفيق بينها ؛ ليحقق بذلك خطه الرتيب ، وينظم

---

(١) سورة الرحمن آية ٣٣ .

علاقته بهذا الكون ، فيكون حينئذٍ قد وفر لنفسه السعادة ، والحياة الحرة الكريمة ، وهذه الخطوط هي :

١ ـ علاقة الانسان بنفسه ويدخل فيها تنظيم ملبسه ومأكله ومشربه ومسكنه ، وما إلى ذلك مما يكون في الغالب داخلاً تحت عنوان هذه العلاقة .

٢ ـ علاقة الانسان بالحياة ، وهي تنظيم ارتباطات الانسان بالمجموعة الكونية ، وتوثيق علاقاته بالغير ، وهذا الغير قد يكون فرداً وقد يكون مجموعة من الناس ، ويندرج في هذه العلاقة ، الارتباطات الحياتيّة بين الدول والشعوب في كافة مجالات الحياة .

٣ـ علاقة الانسان بالجهة الكاملة التي قدمت له العطاء التشريعي الكامل ، الذي ينظم على أساس منه علاقاته العامة والخاصة في كافة نواحي الحياة ، وعبر التاريخ البشري ، منذ البداية حتى النهاية . ذلك العطاء المرن ، الذي يتمشى مع الانسان وظروفه في كل زمان ومكان .

إن تلك الجهة الكاملة التي قدمت العطاء الكامل هي الله سبحانه وتعالى ، فلا بد من تنظيم علاقة الانسان به ، ليسير على هديه ، ويتربى وفق تعاليمه ، وبذلك يؤدي الشكر لله تعالى على عطائه وهداه ، ويحقق بالطاعة رضاه ، حتى يتوفاه الله مطمئناً ، ويعود إلى خالقه راضياً مرضيّاً ، قد استحق الخير في الآخرة على ما حققه في تنظيم علاقاته مع نفسه ومع الكون والحياة ، ومع الله سبحانه ، ذلك التنظيم الذي وفر له رضا الله ونعيم الجنة :﴿ **يا ايتها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فأدخلي في عبادي . وادخلي جنتي** ﴾[١] .

وبعد هذا العرض والتمهيد ، لا بد لنا من العودة إلى الحديث الشريف لمحاولة تطبيق ما ينسجم منه وطبيعة البحث .

فنقول : إن علاقة الانسان بالحياة ، سواء أكانت هذه العلاقة بين الانسان

---

(١) سورة الفجر آية ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .

والمجتمع ، أوبينه وبين الفرد ، فأننا نجد من بين المجموعة التي تعايش الانسان ويعايشها أن المرأة محببة إلى نفس الرجل بحكم تكوينها النفسي والفسيولوجي ، وهو محبب إليها : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [1] .

وإن اقرب امرأة للرجل هي الزوجة ، إذ أنها اقرب انسان يحتضنه ، وأحب مخلوق إلى نفسه ، وأهم انسان لديه يشاركه اعباء الحياة ، ويتحمل معه مسؤلياتها وحجر الزاوية الذي يعتمد عليه في بناء الكيان الاجتماعي ؛ لذلك عبّر النبي (ص) بها عن علاقة الانسان بالمجتمع ، إذ هي البداية التي ينطلق منها إلى الارتباط بالمجموعات البشرية الأخرى .

---

(١) سورة الروم آية ٢١ .

حق الزوجة في ابرام العقد

لقد اعطى الاسلام الحق للمرأة في اخطر المسائل المتعلقة بحياتها وهي مسألة الزواج . فلا يجوز أن تتزوج بغير اذنها ، ولا يتم العقد حتى تعطي الأذن بـــه : ﴿ **تستأمر البكر وغيرها ، ولا تنكح الاّ بأمرها** ﴾ [1] .ويصبح العقد باطلاً إذا اعلنت عن عدم موافقتها عليه .

ويصح للمرأة أن تتـولى عقد النكاج لنفسها مع اهليتها له ، وكما يصح للمرأة ان تتولى عقد النكاح لنفسها ، كذلك يصح لها أن تتولاه عن غيرهـا إيجاباً وقبولاً .

اما إذا كانت فاقدة لاهلية تولي العقد ، فيرجع امرها إلى ولي امرها .

فالصغيرة مثلاً يرجع امرها إلى الأب والجد له ، فالأب والجد يزوجان الصغيرة بمقتضى ولايتها كما تدل عليه الاخبار .

وأما البكر البالغة الرشيدة فقد اختلف في ثبوت ولاية الأب والجد عليها في النكاح وعدمه فقيل بأنها ليس لها أن تتزوج بغير إذنهما ، للأخبار الدالة على ذلك ، وقيل بأنها تملك امرها في النكاح كغيره من العقود ، فلها أن تستقل فيه لما دل على ذلك من الأخبار أيضاً ، وقد جمع بعض من الطائفتين من الاخبار بالتشريك بينهما فيكون امرها في النكاح راجعاً إلى رضائها ورضاء الأب أو الجد ، فليس لها الاستقلال فيه ، كما ليس لهما اجبارها .

ويمكن أن يقال أن هذا الجمع اصح وجوه الجمع التي ذكرت في المقام ،

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ ص ٢٠٣ .

وليس للولي أن يمنعها من أن تتزوج بالكفوء مع وجوده ورغبتها ، فلو منعها في هذا الغرض سقطت ولايته ، لأن جعل الولاية له شرعاً في نكاحها ، انما هو لصالحها لا للسيطرة المحضة عليها .

وبه يظهر أن منعها من التزويج بغير الكفوء لا يسقط ولايته عنها[1] .

أما مع فقد الأب والجد له ، فلا ولاية للحاكم الشرعي في زواج الصغيرة ، ـ على تقدير كون النكاح صلاحاً لها على المشهور ـ . وأما الأم فلا ولاية لها على نكاح الصغيرة ، فلو زوجتها اعتبر امضاؤها العقد بعد بلوغها ، أو امضاء الأب أو الجد لو كان ، مع فرض كون الزواج في مصلحتها[2] .

بينما كانت المرأة في غير الاسلام تحتاج إلى سلوك طرق وأساليب خاصة ، وشكليات ملتوية لتحقق لنفسها التهرب والخلاص من زواج لا ترغب فيه ، ذلك لأنها لاتملك لنفسها رفض الزواج من الزوج الذي اختير لها .

غير أن الشريعة الاسلامية ، اعطت المرأة الحق في قبول الزواج أو رفضه صراحة ، دونما حاجة إلى سلوك طرق ملتوية ، تستخدمه متى أرادت ، بل وقد اعطتها أكثر من ذلك ، حيث اجازت لها أن تخطب لنفسها ، وهذا آخر ما وصلت إليه القوانين «الوضعية الحديثة في القرن العشرين» وحسبته انتصاراً على التقاليد البالية ..

وقد اعطى الاسلام المرأة في بعض الحالات حق فسخ عقد الزواج .

مثال ذلك ، فيما لو تزوجت من رجل على أنه عاقل فتبين انه مجنون ، أو تزوجته على أنه سليم من الأمراض ، فتبين أنه مريض بمرض لا يرجى شفاؤه منه ، أو غير ذلك من العاهات التي لا يتم معها الزواج .

كما وأن التشريع الاسلامي هو أول تشريع من نوعه ، واحدث نظام أرتفع

---

(١) محاضرات العلامة الجليل أستاذنا الشيخ محمد تقي الأيرواني التي ألقاها على طلاب السنة الرابعة في كلية الفقه في النجف الأشرف لسنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

(٢) المصدر نفسه .

بالمرأة إلى مكانتها اللائقة في المجتمع الانساني وقرر كل ما لها من حقوق ، وبين كل ما عليها من واجبات .

في آداب الزفاف والدخول

يعيش الانسان قبيل موعد الزفاف لحظات حاسمة بين مرحلتين ، مرحلة العزوبة ومرحلة الزوجية في الأعم الأغلب ، ذلك لأنه يمر في فترة تأتي بعدها نقطة الفصل بين المرحلتين .

أجل إنه يستعرض احداث حياته الماضية وظروفها ، ويفكر في حياته المستقبلية وما سيحدث فيها .

إنه يفكر ويفكر ...، وهو يعد نفسه لا ستقبال شريكة الحياة وحبيبة العمر ، ويهيء الخطاب الذي سيواجهها به والحديث الذي سيكون بداية لطريق الصحبة ، وافتتاحاً لعش الزوجية . ولا بد أن يكون هذا الاعداد اعداداً كاملاً ، اعداداً في الأخلاق واعداداً في المعاملة ، اعداداً في المودة واعداداً في الحنان ، اعداداً في التفكير وفي كل شيء يشمل النفس والجسد ، ويشمل البيت والاسرة ، ذلك من أجل أن يتم تصميم كل مرافق حياتهما الزوجية ، والتوافق بينهما حتى إكمال الشوط ..

فإذا ما أنطلقت زغاريد الأفراح ، وبدأ الموكب يتهادى بمشيته مقترباً من بيت الحياة الجديدة ، وعتبة بابها السعيد ، فيستحب للزوج أن يستقبل زوجته بالحنان والاحترام ، فإنها ضيف ينزل عليه ، ريثما يحصل لديها الاستقرار النفسي حتى تشعر بأنها تعيش حياة جديدة يشاركها فيها هذا الانسان .

وخير ما يستقبلها به ، ما يقترحه الإمام ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ، إذ يقول لبعض اصحابه : إذا دخلت عليك اهلك فخذ بناصيتها واستقبل القبلة وقل : « اللهم بأمانتك أخذتها ، وبكلماتك استحللت فرجها ، فإن

قضيت لي منها ولداً فأجعله مباركاً سويّا ، ولاتجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً[1] ,

وفي رواية أخرى ان بداية الدعاء : « اللهم على كتابك تزوجتها ، وبامانتك أخذتها ...... الخ .

وفي كتاب النجاة المروي عن الأئمة عليهم السلام : اذا قرب الزفاف يستحب للزوجة أن تكون على وضوء ، إذا دخلت وان تصلّي ركعتين استحباباً ، ويصلي الزوج كذلك ، ثم يحمد الله تعالى ويصلي على النبي وآله عليهم السلام ، ويقول : « اللهم ارزقني الفها وودّها ورضاها بي ، وأرضني بها ، وأجمع بيننا بأحسن اجتماع وايسر إئتلاف ، فإنك تحب الحلال وتكره الحرام »[2] .

وإذا أراد الدخول بها ومباشرتها جنسياً ، يقول : اللهم ارزقني ولداً واجعله تقيّاً ذكيّاً ليس في خلقه زيادة ولا نقصان وأجعل عاقبته إلى خير » ثم يذكر الله عز وجل عند الجماع[3] .

وهكذا تنتهي مرحلة العزوبة مرحلة القلق والصراع النفسي ، وتبدأ مرحلة الاستقرار والمودة والرحمة والحنان ، والسعادة الزوجية: ﴿ **ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ...** ﴾[4] .

---

(١) مكارم الأخلاق للحسن بن فضل الطبرسي ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٩ .

(٤) سورة الروم آية ٢١ .

نظرة الاسلام الى الزوجين

وبعد أن اعتبر الاسلام الزواج ميثاق محبة وتعاون ، وإيثار وتضحية ، وسكن ومودة ورحمة ، وعلاقة روحية شريفة ، وارتباط جسدي مشروع ، فقد ساوى بين الرجل والمرأة في مجال تدبير شؤون الحياة بالارادة والعمل ، بما تحتاج إليه البنية الانسانية في المأكل والمشرب وغيرهما ، من لوازم البقاء .

فلقد اعطى الحق للمرأة في أن تستقل بالعمل ، ولها أن تستقل بالارادة وتملك نتائجها من غير فرق بينها وبين الرجل ، فهما فيما يراه الاسلام سواء بسواء ، ولكن الصنع الآلهي ميزها بخصلتين :

احداهما : أنها بمنزلة الحرث :﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انّى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله ، وأعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين** ﴾ [1] .

. وذلك بملاحظة استمرار النسل البشري ، فتختص من الاحكام بمثل ما يختص به الحرث ، وتمتاز المرأة عن الرجل بذلك .

أما الثانية : أن وجود المرأة مبنيّ على اللطافة في البنية ورقة الشعور ، ولهذه الرقة وتلك اللطافة تأثير في احوالها ووظائفها الاجتماعية .

وبهذا نتبين وزن الرجل في الكيان الاجتماعي ، وتتضح لنا جميع الاحكام المشتركة بينه وبين المرأة ، وما يختص به كل واحد منهما . قال تعالى :﴿ **ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله بكل شيء عليما** ﴾ [2] .

والآية تشير إلى أن الأعمال التي يقدمها كل من الرجال والنساء إلى المجتمع ،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

(٢) سورة النساء آية ٣٢ .

هي الملاك لما اختص به كل منهما من الفضل .

١ ــ ومن هذا الفضل ماتميز به البعض دون الآخر :

أ ــ كفضل الرجل على المرأة في الميراث ﴿ **يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾ [1] .

ب ــ وفضل المرأة على الرجل في وضع النفقة منها ، فلا ينبغي أن يتمناه متمن ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعدعسريسراً** ﴾ [2].

٢ ــ ومنه ما لا يتميز الا بعمل العامل كفضل الإيمان والعلم ، والعقل والتقوى وسائر الفضائل التي يستحسنها الدين ﴿ **يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [3] ﴿ **فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وانثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب** ﴾ [4] .

وأما الأحكام المشتركة والمختصة : فأن المرأة تشارك الرجل في جميع الاحكام العبادية والحقوق الاجتماعية ، وتستقل فيما يستقل به الرجل من غير فرق ، في الأرث والكسب والمعاملة والتعلم والتعليم ، واقتناء حق أو دفاع عن حق ، وغير ذلك . الاّ في موارد يقتضي طبعها ذلك .

ويختص الرجل دون المرأة بتولي الحكومة والقضاء ، ولا تتولى هي ذلك ، وقد سبق أن بيّناه في المدخل عند عرضنا لوزنها الاجتماعي في ظل الاسلام .

ولا تتولى المرأة ممارسة القتال ، الا في حالة النفير العام ، عند عدم الاكتفاء

---

(١) سورة النساء آية ١١ .

(٢) سورة الطلاق آية ٧ .

(٣) سوزة الحجرات آية ١٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩٥ .

بالمقاتلين من الرجال ؛ إذ يتحول الجهاد من كونه واجباً كفائياً إلى واجب عيني .

وورد في وصية النبي (ص) لعلي (ع) قال : يا علي ليس على المرأة جمعة ...

إلى أن قال : ولا تتولى القضاء[1] .

ولكنها لا تمنع من دخول الحرب ، فلها أن تداوي الجرحى ، وتنقلهم وتساعد في تحضير الطعام ، ونقل ما يحتاجه الجيش من مؤن وذخيرة إن اقتضت الحاجة ، وتقديم الخدمات التي تتناسب وقابلياتها الفسيولوجية ، وكما أنها لا يستغنى عنها في مجال تشجيع المقاتلين بما تقوم به من زغردة وغيرها[2] .

ولها نصف سهم الرجل في الميراث ، وعليها الحجاب وستر مواضع الزينة ، وعليها ان تطيع زوجها فيما يرجع إلى التمتع منها ....

أما نفقتها في الحياة فهي على الرجل سواء أكان أباً أم زوجاً ، وعليه حمايتها بمنتهى ما يستطيعه ، وعليها تربية الأولاد وحضانتهم .

وأعطيت حق التعلم والتعليم ، كما ورد في المأثور عنه (ص) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ولفظ المسلم يطلق على الرجل والمرأة كما ورد في النصوص الفقهيـة .

غير أن الواجب عليها في جانب العلم ، هو العلم بأصول المعارف ، والعلم بالفروع الدينية ـ احكام العبادات والقوانين الجارية في الاجتماع ـ . وأما رغبتها في العلم والإكثار منه والتخصص في مجالاته فلا مانع منه لأنها كائن بشري والكائن البشري لا يستكمل مقومات بشريته الا بالمعرفة .

فالمرأة شأنها شأن الرجل في مجال العلم سواء بسواء ، وقد دعاها الاسلام إلى أن ترتفع بعقلها كما ترتفع بجسدها وروحها عن مستوى الحيوان .

وأما الواجب عليها في جانب العمل فأحكام الدين وطاعة الزوج فيما يتمتع به منها .

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ العاملي كتاب القضاء ب ٢ صفات القاضي دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) تفسير الميزان للحجة الطباطبائي بتصرف ج ٢ .

الحقوق الزوجية

• من حقوق الزوجة على الزوج

ونحن إذا ما تتبعنا رسول الانسانية (ص) في سيرته ، وجدناه يؤكد دائماً على تنظيم علاقات الزوجين وحماية الاسرة ، مستهدفاً بذلك صيانة المجتمع الانساني ، باعتبار أن الاسرة هي اللبنة الاساسية في بناء ذلك المجتمع .

فيقول (ص) : الا خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي[1] .

وفي رواية أخرى : خيركم خيركم لاهله ، وأنا خيركم لأهلي[2] .

ولكن أن لا يسرف الزوج في دعابة ومزاح زوجته ، فتسقط كرامته في عينها ، ولا يتجاوز حدود الرفق والملاينة ، لأن ذلك قد يسبب استخفافها واستهانتها به ، فتنهار شخصيته ، بل لازم عليه اتباع خط الاعتدال وسلوك الطريق السوي ، متجنباً بذلك الافراط والتفريط .

كما أكد الاسلام على التنظيف والأناقة وتزين الزوج لزوجته بما يتناسب ، وحبب الظهور بما ترضاه الزوجة من استمالة الزوج لها .

حيث ورد عن الحسن الجهم قال : رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب فقلت : جعلت فداك اختضبت ؟ فقال : نعم إن التهيّة مما يزيد في عفة النساء ، ولقد ترك النساء العفّة بترك ازواجهن التهيّة ، ثم قال : أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيّة ؟ قلت : لا ، قال : فهو ذاك ، ثم قال : من أخلاق

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ كتاب النكاح ص ١٢٢ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٢٢ . وفي مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢١٦ طبع الأعلمي بيروت .

الأنبياء التنظف والتطيب وحلق الشعر وكثرة الطروقة[1] .

ولقد ربط الاسلام بمنهاجه القويم بين النظافة والإيمان ، إذ قدورد في المأثور ، النظافة من الإيمان . لأنه حرص على أن يكون المسلم نظيف الظاهر كطهارة باطنه ، وأن يبدو في بيته وفي خارجه أنيق الملبس في غير اسراف ، نظيف الجسد في غير مبالغة .

والمرأة حين ترى زوجها نظيف الملبس أنيق الهندام ، يدعوها ذلك إلى الاهتمام بنفسها زينة واناقة ، لئلا يرى الزوج منها ما يكره ، فتتبدل صورة سعادتها الزوجية بما ينغض عليها صفاء الحياة .

ولصالح الزوجين وتقوية رباط الزوجية ، وتدعيم كيان الاسرة ، نهى الاسلام عن التضييق على المرأة في المعاملة دونما سبب معقول ، وأمر بالمعاشرة الطيبة لا بعاد الكراهة والبغض وغيرهما مما ينفذ إلى القلوب المتحابة ، فيطعن الحياة الزوجية في الصميم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾[2] .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : اوصاني جبرئيل (ع) بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها الاّ من فاحشة بينة[3] .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : ما من عبد يكسب ثم ينفق على عياله الا اعطاه الله بكل درهم ينفقه على عياله سبعمائة ضعف ، وقال (ص) : خير الرجال من امتي الذين لا يتطاولون على اهليهم ويحنون عليهم ، ولا يظلمونهم[4] . ثم

(١) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ كتاب النكاح ص ١٨٣ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت .
(٢) سورة النساء آية ١٩ .
(٣) الوسائل ج ٧ كتاب النكاح ص ١٢١ وفي مكارم الأخلاق ص ٢١٦ غير أن الرواية عن الإمام الباقر (ع) .
(٤) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢١٦ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

قرأ : ﴿ **الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾[1] .

وعن الباقر عليه السلام قال : « من كانت عنده امرأة فلم يكسها ما يواري عورتها ، ويطعمها ما يقيم صلبها كان حقاً على الامام أن يفرق بينهما[2] . والحديث يشير إلى ما يجب على الزوج توفيره للزوجة من مأكل وملبس ، فلو عجز عنه وطلبت الزوجة الطلاق كان على الامام أن يفرق بينهما .

وطلب الاسلام من الزوج أن لا يسيء الظن بزوجته وأن لا يبالغ في البحث عن غيوبها ، حتى لا يجرح كرامتها ولا يخدش كبرياءها ، ولكنه كلفه أن يغضب ويغار من كل شيء يمس شرف زوجته وكرامتها وعرضها ومروءتها ، ويدفع عنها لأنها محميّة النفس والعرض . إذ أن الغيرة عندالرجل على زوجته من الايمان .

قال الامام ابو عبد الله (ع) : ليس الغيرة الا للرجال فأما النساء فإنما ذلك منهن حسد والغيرة للرجال ولذلك حرم على النساء الا زوجها واحلّ للرجل أربعاً الحديث[3] .

وعنه عليه السلام قال : إن الله غيور يحب كل غيور ومن غيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها[4] .

وبهذه الطريقة التي رسمها الرسول (ص) وآله الكرام عليهم السلام للانسانية خير علاج للذين مرضت نفوسهم ، ودفعوا بزوجاتهم بين احضان الآخرين ، في المراقص والمنتديات بحجة المدنية والتطور ، وقوّة الثقة . ثم يصمون آذانهم عمّا يتمخض عنه هذا التسامح وذلك التعامي .

فعلى الأزواج إذن أن يوجهوا زوجاتهم ويرشدوهن إلى ما فيه صلاح الدين والدنيا ، وما يبعدهن عن المزالق والتردي في عثرات الحياة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا**

---

(١) سورة النساء آية ٣٨ .

(٢) مكارم الأخلاق ص ٢١٧ .

(٣) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ص ١٠٧ ج ٧ كتاب النكاح دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٤) الوسائل ج ٧ كتاب النكاح ص ١٠٨ .

قو أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ... ﴾[1]

وقد الزم الاسلام الزوج بتهيئة المسكن المناسب لزوجته ضمن حدود قدرته المالية وامكاناته المادية : ﴿ **اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾[2]

وكذلك الزمه بالأنفاق عليها من غير اسراف ، كما هو مستفاد من الآية الكريمة ﴿ **.... وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها ....** ﴾[3] .

فللزوجة النفقة على زوجها مع المقدرة من الطعام والكسوة والسكن والفراش والغطاء وآلة التنظيف ، وسائر ما تحتاج إليه بحسب حالها ، ومنه الدواء وأجرة الطبيب ومصاريف الولادة على الاقوى ، مع العقد الدائم بشرط عدم النشوز[4] .

ويتبين لنا من النصوص التي ثبتناها في البحث أن الزوج ملزم بالإنفاق على زوجته ، وإن كانت غنية موسرة باعتباره الرئيس الطبيعي للأسرة .

وأما الزوجة فأنها غير ملزمة بالانفاق إلا إذا أرادت هي ذلك . إذ لم تكلفها الشريعة الاسلامية بخدمة زوجها ولا بخدمة اولادها وإرضاعهم وحضانتهم على نحو الوجوب ، إلا إذا تولت هي ذلك والتزمت بهذه المهام عن طيب خاطر متطوعة غير مجبرة .

---

(١) سورة التحريم آية ٦ .

(٢) سورة الطلاق آية ٦ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

(٤) منهاج الصالحين لحجة الإسلام السيد الحكيم قدس سره / ج ٢ ص ٢١٨ الطبعة الخامسة عشر مطبعة النعمان النجف الأشرف .

• من حقوق الزوج على الزوجة

أن الاسلام الذي احاط الأسرة بسياج العدالة ومراعاة رباط الزوجية المقدس ، فأنه كما فرض للزوجة حقوقاً على زوجها ، فقد فرض عليها واجبات لزوجها ، ذلك ضماناً لحياتهما الزوجية ، وابعادهما عن الخلاف والمنازعات .

وهذه الحقوق وهذه الواجبات هي عبارة عن مسؤليات مشتركة ، وحقوق لا يستأثر بها الزوج ولا تختص بها الزوجة ، فكل حق يمنح لا حدهما لا بد أن يؤدى نظيره للآخر .

فإذا دعا الزوج زوجته إلى فراشه مثلاً فأبت سخط الله عليها حتى ترضي زوجها وفي هذا يقول الرسول (ص) : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه ، الا كان الذي في السما ساخطاً عليها حتى يرضى عنها »[1] .

وعنه (ص) أيضاً قال : لا تؤدي المرأة حق الله عز وجل حتى تؤدي حـق زوجهـا[2] .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل كتب على الرجال الجهاد وعلى النساء الجهاد . فجهاد الرجل أن يبذل ماله ودمه حتى يقتل في سبيل الله ، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من اذى زوجها وغيرته[3] .

وقال عليه السلام أيضاً : جهاد المرأة حسن التبعل[4] .

وعن الإمام الصادق (ع) : إيما أمرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها فلا

---

(١) الإسلام والأسرة محمود بن الشريف ص ٩٥ .

(٢) مكارم الأخلاق ص ٢١٥ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٣) المصدر السابق ص ٢١٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٢١٥ .

نفقة لها حتى ترجع[1] .

وعنه عليه السلام : إيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق ، لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها[2] .

وقال (ع) : إيما امرأة تطيبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها[3] .

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال : إن رجلاً من الانصار على عهد رسول الله (ص) خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم ، قال : وإن اباها قد مرض فبعثت المرأة إلى رسول الله (ص) تستأذنه أن تعوده فقال : لا اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك قال : فثقل فأرسلت إليه ثانياً بذلك فقال : أجلسي في بيتك وأطيعي زوجك ، قال : فمات ابوها فبعثت إليه إن أبي قد مات افتأمرنني أن اصلي عليه فقال : لا أجلسي في بيتك وأطيعي زوجك قال : فدفن الرجل ، فبعث إليها رسول الله (ص) أن الله قد غفر لك ، ولأبيك بطاعتك لزوجك[4] .

وعن جابر بن عبد الله (رض) قال : قال رسول الله (ص) : إذا صلّت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها واطاعت بعلها فلتدخل من أي ابواب الجنة شاءت[5] .

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : أن لي زوجة إذا دخلت تلقتني ، وإذا خرجت شيعتني ، وإذا رأتني مهموماً قالت : ما يهمك ؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك ، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همّاً . فقال رسول الله (ص) : بشّرها بالجنة وقل لها :

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢١٥ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .
(٢) المصدر السابق ص ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١٥ .
(٤) وسائل الشيعة للشيخ العاملي ج ٧ كتاب النكاح ص ١٢٥ دار إحياء التراث العربي بيروت .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٠١ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

انك عاملة من عمّال الله ولك في كل يوم أجر سبعين شهيداً . وفي رواية : إن لله عز وجل عمالاً وهذه من عمّاله ، لها نصف أجر الشهيد[1] .

وقال النبي (ص) خير نسائكم الطيبة الريح ، الطيبة الطعام التي أن أنفقت أنفقت بمعروف ، وإن أمسكت أمسكت بمعروف ، فتلك من عمّال الله ، وعامل الله لا يخيب ولا يندم[2] .

وقال (ص) الا أخبركم بشر نسائكم ؟ قالوا : بـلا يا رسول الله أخبرنا ، قال (ص) : شر نسائكم الذليلة في اهلها العزيزة مع بعلها ، العقيم الحقود ، التي لا تتورع عن قبيح ، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها ، الحصان معه إذا حضر ، التي لا تسمع قوله ولا تطيع أمره ، فإذا خلا بها تمنعت تمنع الصعبة عند ركوبها ، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً[3] .

وكل تلك الروايات التي اوردناها عن النبي (ص) وغيره تشير إلى وجوب طاعة الزوج على الزوجة في غير معصية ، وهذه الطاعة هي خير وسيلة للمحافظة على نظام الاسرة واستمرار الحب بين الزوجين ، كما ان لبيت الزوجية حرمة يجب على الزوجة مراعاتها والمحافظة عليها ، إذ أنها من الحقوق الأولية ، وتتأكد هذه المحافظة عند غياب الزوج وبعـده عن منزله ، فلا يجوز للمرأة أن تدخل منزل زوجها حال غيبته الا من ارتضاه واذن له في الدخول ، ومن أذن لها بالتردد على بيته وفق حدود الشرع .

وأما اموال الزوج فهي وديعة عند زوجته لا يجوز لها أن تنفق منها إلا إذا اذن لها زوجها ، او تيقنت رضاه بالانفاق منها ، ولا يحل لها أن تطعم من بيته الا بأذنه . عدى ما يخشى فساده من الطعام ، فإن اطعمت برضاه كان لها أجر ، وإلا فله وعليها الوزر .

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢٠٠ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٢ .

وللزوج على زوجته استحباباً تمريضه إذا مرض ، والسهر على راحته حتى يبرأ ، فإن قضى وجب عليها الحداد مدة عدتها .

لقول رسول الله (ص) : لا يحل لا مرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام الاّ على زوج أربعة اشهر وعشراً[1] .

وورد عنه (ص) : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها اطاعته ، وإن نظر إليها سرّته ، وإن أقسم عليها ابرته ، وأن غاب عنها حفظته في نفسها وماله[2] .

وهكذا يبين لنا الرسول (ص) أن المقياس في صلاح المرأة ليس بوفرة مالها ، ولا بفرط جمالها ، بل جعل صلاحها في طاعتها لزوجها ، وأدخال السرور على نفسه ، وفي عفتها إذا غاب عنها ، وأن لا تقع عينه منها على قبيح ، ولا يشم منها الا اطيب ريح .

وقد نعتها القرآن الكريم بقوله تعالى :﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ... ﴾[3] .

فالصالحات من النساء في نظر الاسلام اللّواتي يخضعن لا زواجهن فيما يجب لهم ، ويؤدين حقوقهم ، ويبذلن ما في وسعهن من المحافظة على الرابطة الزوجية ، ويلتزمن حدود الشرع صيانة لتلك الرابطة المقدسة ، وضماناً لأستمرار حياة حرة سعيدة .

لقد ذكرنا خلال بحثنا عن حقوق الزوج على زوجته ، أكثر من مرّة ، أن له عليها طاعته إذا دعاها إلى مخدعهما الخاص ، وأن لا توطيء فراشه من يكره ، وأن تحفظ غيبته .

وأن الزام الاسلام الزوجة بهذه الأمور الثلاثة ، لم يكن الا لما ينطوي عليه كل

---

(١) الإسلام والأسرة لمحمود بن الشريف ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٣) سورة النساء آية ٣٤ .

واحد منها من اهمية ينبغي الالتفات إليها والتنبيه عنها ، وفيما يلي نتعرض لكل واحد منها بشيء من التفصيل :

١ ـ أما الحكمة في المسألة الأولى ، وهي طاعة الزوجة لزوجها في مخدعهما كلما دعاها إليه الا إذا منع من ذلك مانع شرعي ، فهي أن الزوج وخصوصاً في مرحلة شبابه يكون أكثر طلباً للاتصال الجنسي ، وإن كانت المرأة اعمق منه استجابة لهذا الاتصال ، وأشد منه اشتغالاً في معناه لا في صورته الجسدية والزواج بطبيعة الحال ، منظور فيه إلى تلبية الحاجات الجنسيّة بجانب المعاني الأخرى ، من روحية ونفسية واجتماعية واقتصادية .

فإذا كان الزوج لا يجد زوجته ملبية لطلبه وقت حاجته إلى الاتصال الجنسي في بيته ، فمن المحتمل لجوءه إلى البحث عن هذا الاتصال في خارج البيت . وهذا ما لا يسمح به المجتمع ولا ترضى به الزوجة نفسها ، إذ يصبح زوجها بعد ذلك منصرفاً إلى امرأة أخرى تكون غريمة لها .

والمرأة إذا دعاها زوجها دون رغبة منها إلى الاتصال الجنسي ، فأنها لا تخرج في عدم رغبتها عن احدى حالات ثلاث :

أ ـ لا ترغب في الاتصال ولا تتحمله لكراهتها لزوجها .

ب ـ هي محبة لزوجها ، ولكنها تكره الاتصال وتنفر منه . ونفورها من الاتصال ناشيء أما من كرهها للاتصال ، وأما لأن زوجها يدعوها في وقت هي غير راغبة بالاتصال .

ولمعالجة المشكلة نجيب بما يلي :

أما الحالة الأولى : فلا يؤمل فيها البقاء على الرابطة الزوجية ، نتيجة لوجود التنافر بين الزوجين ، ويحسن فيها الانفصال ، وللمرأة الحق في أن تطلب الأنفصال من زوجها فإن امتنع عن طلاقها ، فلها أن ترفع امرها إلى الجهة الشرعية التي تملك حق الفصل بينهما .

وأما الحالة الثانية : فإن كانت الزوجة لا ترغب في الاتصال لنفورها منه وكرهها له ، مع حبها لزوجها . فيجب عليهاتمكين زوجها من نفسها ، لأن الاتصال استمتاع الزوج المترتب على العقد ، وهو حق من حقوقه عليها فإن أبت صارت ناشزاً وسقطت نفقتها[1] .

وأما إذا كان نفورها من الاتصال ناشئاً من تعب أو ملل أو انشغال بال ، أو لأن زوجها يدعوها إلى الاتصال في وقت هي غير راغبة فيه ، فأن التهيء النفسي والجسدي من جانب الزوجة كفيل في ازالة مثل ذلك النفور والقضاء على ذلك الامتناع ، وأن كان هذا التهيء قليلاً .

ويعالج هذا النفور بمداعبة الزوجة من قبل زوجها قبيل الاتصال ، ثم التعرف على أسباب النفور من أجل اجتنابها والقضاء عليها بشكل تدريجي .

ولا يعتبر هذا القسم من الحالة الثانية مشكلة تعكر عيش الزوجين حيث يزول بالمداعبة اللطيفة مثل هذا العارض ، ويتم فيها بعد الامتزاج الروحي والتوافق الجسدي الذي يهيء الزوجة لقبول طلب زوجها .

أما إذا كانت الزوجة هي الراغبة في الاتصال ، والزوج منصرفاً عن الرغبة في الاتصال لسبب من الأسباب ، وهو نادر الوقوع ، خاصة في مرحلة شباب الزوج . فأن المرأة قادرة على الوسيلة التي تستثير بها الرغبة عند زوجها . ولكن رغم ذلك كله فقد اهتم التشريع الاسلامي برغبتها وحبب للزوج الاستجابة لطلبها . فإن امتنع الزوج لعجزه أو لغيره عن اداء وظيفته الزوجية لمدة أكثر من أربعة اشهر كان للزوجة حق طلب الانفصال .

٢ ـ وأما الحكمة في المسألة الثانية : وهي أن لا تدخل الزوجة إلى بيت زوجها من يكره ، فلأن البيت والفراش ملكاً للزوج ، وإدخال من يكرهه المالك إلى ملكه حرام ؛ لأنه تصرف غير مأذون فيه . وليس المقصود دخول الفاحشة

---

(١) منهاج الصالحين لآية الله السيد الحكيم قدس سره ج ٢ ص ٢١٣ ط ١٥ النجف .

لأنها محرمة وأن رضي الزوج بها ، والقاعدة تقضي بأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهذا ثابت بحكم العقل واطلاقات وجوب طاعة الله ورسوله من الكتاب والسنة .

أضف إلى ذلك أن كثيراً من المنازعات التي تنشأ في البيت ، تكون في الأعم الأغلب نتيجة لدخول شخص ثالث بالسعاية والاثارة .

فالزام الزوجة بمنع من يكرهه الزوج إذن هو لصالح الزوجين معاً ، وحماية الشركة الزوجية القائمة بينهما ، ولصالح ما ينجبون من اطفال ؛ لحاجتهم إلى جوٍّ من المودة والرحمة لا يفسده النزاع والشجار ، حتى لا ينشأ الأطفال منحرفي النفوس والأفكار .

ولكن ليس معنى ذلك أن الزوج يكون دائماً في مثل هذه الحالة على حق ، إذ ربما يدخل هو بيته شخصاً تكرهه الزوجة ، لعلمها بأن ذلك الشخص يعمل على هدم الروابط الزوجية بينهما ، ولكن المعروف في الأعم الأغلب ، أن الزوج أكثر انقياداً لعقله ، وأن المرأة أكثر انقياداً لا نفعالاتها العاطفية ، ومع هذا فإن باب الانفصال مفتوح امامها ، فيما إذا ساءت العلاقة بينهما إلى حد لا ينفع معه البقاء ، شريطة البذل أو الانفاق بينهما على الانفصال إذ أن ــ الطلاق بيد الآخذ بالساق ــ .

٣ ــ وأما المسألة الثالثة : فإن المحافظة من الزوجة على عرض زوجها ، وماله حال غيبته ، هو التزام طبيعي ومنطقي ــ بناء على قدسية الأسرة طبعاً ــ لا يجادل فيه ذو عقل ، وهو إلتزام مشترك يشمل الزوج والزوجة على السواء .

التسوية بين الزوجين

ومنذ أن بدأ الاسلام بصياغة المجتمع صياغة اسلامية ، وأرسى أسسه على قواعده الدينية الانسانية القويمة ، فقد ساوى بين الرجل والمرأة أمام احكام الشرعية ، وقانون نظامه الخالد ، في شؤون المسئولية والجزاء ، وفي الحقوق العامه والمدنية بمختلف أنواعها . لا فرق في ذلك بين كون المرأة متزوجة أو غير متزوجة .

أجل لقد ساوى بينها وبين الرجل ، الا فيما تقتضيه طبيعة كل منهما من حيث التكوين .

فالزواج مثلاً في الدين الاسلامي يختلف عنه لدى الشعوب الغربية ، الخاضعة للاديان الأخرى في احوالها الشخصية . إذ أنه لا يسلب المرأة اسمها ولا يسلبها شخصيتها المدنية ، ولا اهليتها في التعاقد ولا حقها في التملك . بل تبقى المرأة المسلمة بعد الزواج محتفظة باسمها وأسم أسرتها ، وكل ما لها من حقوق مدنية ، كما تحتفظ بأهليتها في تحمل الالتزامات واجراء مختلف العقود ، من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية وغير ذلك فلها أن تتملك بشكل مستقل عن زوجها وغيره .

وللمرأة المتزوجة في الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة ، وملكيتها الخاصة مستقلة عن شخصية زوجها وثروته ، وقد منع الاسلام الزوج عن أن يأخذ من مال زوجته شيئاً ، قل ذلك المأخوذ أم كثر ، الا برضاها وطيب نفسها . كما لا يجوز لزوجها أن يتصرف باموالها إلا بعد أن تأذن له أو توكله . ويجوز لها بعد ذلك أن تلغي وكالته وتوكل غيره إن شاءت ، وهذا ما لم تصل إليه القوانين الحديثة بعد في تشريعاتها المتجددة .

فإننا نجد المرأة في فرنسا مثلاً ــ وهي مصدر الفقه القانوني في مجال التشريع

الوضعي ـ . حيث نزع القانون عنها صفة الاهلية في كثير من الشؤون المدنية .

فقد نصت المادة ـ ٢١٧ ـ من القانون المدني الفرنسي : « ان المرأة المتزوجة حتى لوكان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا ترهن ، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد ، أو موافقة عليه موافقة كتابية »[١] .

وتقرر القوانين الغربية كذلك ، أن المرأة إذا تزوجت تفقد أسمها وأسم اسرتها . إذ لا بد أن تحمل أسم زوجها وأسم أسرته .

أما التشريع الاسلامي فلم يسلبها أي شيء من هذه الحقوق . بل ترك لها حقوقها كاملة غير منقوصة ، ويؤكد على حمايتها لها .

كما اعطى للمرأة حق الدفاع عن حقوقها الزوجية بنص القرآن الكريم : **﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾**[٢] .

ومنحها حقوقها السياسية التي تطالب ببعضها اليوم في كثير من دول العالم ، والتي ما زالت موضع الجدل في عصرنا الحاضر بين المؤيدين والمعارضين .

ولكن القرآن الكريم قرر هذه الحقوق بكل صراحة لا لبس ولا غموض ، فمنحها من الحقوق السياسية ما لم تستطع أن تصل إليه التشريعات والقوانين الحديثة[٣] إذ قال سبحانه في اعطاء حق المبايعة لها اسوة بالرجل : **﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن**

---

(١) المرأة والجنس ـ الدكتوره نوال السعداوي ج ٢ ص ١٧٧ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت .
وكتاب المساواة في الإسلام الدكتور عبد الواحداوي ص ٧٨ طبع دار المعارف بمصر .

(٢) سورة المجادلة آية ١ .

(٣) القرآن والمجتمع الحديث ص ١٠٢ عبد الرزاق وفل الطبعة الأولى .

واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾[1] .

وفي سيرة النساء المسلمات أمثلة كثيرة ، منها موقف فاطمة (ع) من الخليفة الأول ومناقشتها له ، ثم مخاطبتها للانصار والمهاجرين ، وقد تم ذلك في مسجد رسول الله (ص) وكان يومئذ مقر رئاسة الدولة . أضف إلى ذلك تجوالها على بيوت اهل المدينة من اهل الحل والعقد .

ومنها مواقف ابنتها زينب (ع) بطلة الاسلام في الكوفة والشام وما أدلت فيها من تصريحات وخطب كشفت بها عن عدم اهلية حكام المسلمين ، وضرورة تنحيتهم عن مناصب الدولة ، وما زالت على شاكلتها تلك تحرض الناس وتحفز هممهم حتى اضطر يزيد إلى ابعادها عن المدينة إلى مصر على اصح الروايات ، وإلى أن قضت ايامها وهي تمارس حقوقها السياسية من أجل الحفاظ على عقيدة الأمة وحقوقها . وتربيتهم على الطريقة التي رسمها ابو الشهداء الحسين (ع) وخط معالمها بدمائه الزكية ودماء أنصاره وأخوته .

ومنح الاسلام المرأة كذلك حقوقها الاجتماعية ، فأعلن عن مشاركة الرجل والمرأة في بناء الكيان الاجتماعي . وذلك لأن المرأة نصف المجتمع ، ومشاركتها في البناء حق يقرره واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾**[2] .

(١) سورة التوبة آية ٧١ .

(٢) سورة الممتحنة آية ١٢ .

المساواة بين الرجل والمرأة في التعلم والتعليم

يتميز الاسلام عن غيره في كثير من الأمور التي أعلن عنها في نظامه الخالد ، منذ أن بدأ الرسول محمد (ص) ينفذ الأحكام الاسلامية على المجتمع الاسلامي إذ قرر للمرأة في شريعته ما ليس في مقدور الشرائع الأخرى الوصول إليه .

فقد ساوى الاسلام منذ اللحظات الأولى من فجر تشريعه بين الرجل والمرأة في حق التعلم والتعليم والثقافة ، حيث اعطى المرأة في هذا المجال ما اعطاه للرجل ، واباح لها أن تحصل ما تشاء الحصول عليه من العلم والأدب والثقافة ، والزمها به في حدود ما يمكّنها من الوقوف على امور دينها ، ومعرفة القيام بوظائفها في الحياة .

فقد روي أن الشفاء العدوية وهي سيدة من بني عدي كانت كاتبة في الجاهلية وكانت تعلم الفتيات ، وقد أخذت حفصة زوجة رسول الله (ص) عنها القراءة والكتابة قبل زواجها من الرسول (ص) ، وبعد أن تزوجها طلب من العدويّة الاستمرار في تعليم زوجته حفصة[1] . وهناك ادلة كثيرة تدل على أن ابواب العلم والثقافة كانت مفتوحة للنساء المسلمات وغيرهن من المواطنات ، منذ العصور الاسلامية الأولى . وأن عدداً كبيراً من النساء برزن في علوم القرآن والحديث والفقه وشتى أنواع المعرفة .

فقد روي أن من جملة المسلمين الذين عنوا بجمع القرآن في فترة الوحي امرأة كانت يسميها النبي (ص) الشهيدة ، وكان يزورها في بيتها لعظم قدرها ، وقد

(١) المساواة في الإسلام ص ٨٠ الدكتور عبد الواحدوافي / طبع دار المعارف بمصر .

استشهدت في عهد عمر الخطاب »[1] .

وهذا مما يدل على أن الاسلام قد اهتم بالمرأة كما اهتم بالرجل دونما تفريق منذ فجره التاريخي ، ولم يمنعها مـن التدرج في كافة مجالات العلم والمعرفة ، رغبة منه في لحوقها بالمسيرة العلمية ، والتخلص من التخلف الذي لحقها أيام حياتها قبل الاسلام .

فلها أن تتخصص وأن تتعلم وتعلم حسب مقتضيات العصر في حدود ما رسمته الشريعة الاسلامية . ولا يفرق الاسلام في طلب العلم بين الرجل والمرأة ، بل ولا بين المرأة الحرّة والأمة .

أما ما يجب عليها الالتزام به مما يتناسب والشريعة الاسلامية :

١ ــ أن يكون خروجها من بيتها إلى المعهد ، ان كان طلب العلم خارج البيت بموافقة من ولي امرها ، إلا إذا كان ذلك على نحو الواجب العيني لضرورة تتوقف عليها مصلحة الأمة فتسقط الموافقة .

٢ ــ أن يكون المعهد الذي تتلقى فيه العلم خاصاً بالنساء فلا يجوز الاختلاط بين الجنسين لما تترتب عليه من مفاسد وحرمة .

٣ ــ أن يكون العلم الذي تتلقاه يعود بالمنفعة على الأمة أو عليها على أقل تقدير .

هذا في مجال التعلم وكذلك تأتي الشروط نفسها في مجال التعليم .

ومع تقيدها بالأحكام الشرعية فأن الاسلام لم يمنعها من طلب العلم بكـل مـراحلـه .

فقد روي إنه كانت لابن المطرف اللغوي جارية أخذت عنه النحو واللغة ، ثم فاقته في ذلك ، وبرعت في علم العروض حتى لقبت بالعروضية ، وإنها كانت تحفظ كتابي الكامل للمبرد والأمالي لأبي علي الغالي ، وكانت تشرحهما وتدرسهما وعنها أخذ علم العروض[2] .

---

(١) موجز علوم القرآن للسيد داود العطار ص ١٤٨ .

(٢) نفح الطيب المقدّي / ودكرها نقلاً عنه الدكتور عبد الواحد وافي كتابه المساواة في الإسلام ص ٨٢ .

الزواج المبكر طريق النجاة من المفاسد

لا يستطيع الرجل أن يكون رجلاً في المجتمع ، الا إذا وجد إلى جنبه زوجة تبعث في روحه الشجاعة والهمّة ، وتغرس في قلبه الكبرياء والعظمة أمام مسئوليته ، للتخلص من التبعية التي يفرضها عليه المجتمع .

وحسب الرجل أن يعلم أنه سيد وأن له رعيّة تضع فيه ثقتها ، وتستظل بحمايته وتعيش تحت رعايته ، وتعتمد عليه في كل شؤون حياتها ، وعند ذلك يشعر بحاجة إلى استكمال جميع صفات السيادة ومزاياها في نفسه ، فيعالج ذلك منها ، ويلزمها به حتى يتم له ما يحتاج إليه .

فالمرأة لم تخلق لتكون سريّة للرجل ولا حظيّة ولا اداة لهو ولعب ، وإنما خلقت لتكون زوجة للرجل وصديقة لنفسه وشريكة له في حياته .

أنها تفهم معنى الحياة كما يفهمها هو ، فيجب أن يكون حظها منها مثل حظه ويجب عليه أن يحترمها لتتعود احترام نفسها ، ومن احترم نفسه كان ابعد الناس عن الزلّات .

ونحن لا نريد للمرأة أن تكون خليعة مستهترة ، تتنقل في أندية الرجال ، فتمزق حجاب عفتها وصيانتها ، ولا نريد لها أن تكون جارية مستعبدة للرجل ، يملك عليها كل شيء في هذه الحياة ، ويأخذ عليها كل طريق . وقد ورد في المأثور « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً »[1] . بل نريد لها أن تحتل مكانتها اللائقة

---

(١) نهج البلاغة شرح المرصفي ص ٦٦ ج ٢ .

ومرتبتها المناسبة في المجتمع . وازاء ذلك لا بد للرجل أن يعاملها معاملة الاصدقاء والنظراء أن كانت مساوية له في العقل والأدراك .

وأما إذا كانت أقل منه ، فعليه أن يعاملها معاملة المعلم لتلميذه والوالد لولده . فيعلمها ويأخذ بيدها إلى المستوى الذي هو فيه ، ليجد منها بعد ذلك الصديق الوفي والنظير الكريم وشريك الحياة والمناسب .

وهكذا يجدها بعد ذلك انساناً يفهمه ، ويعيش معه كل لحظة من لحظات الحياة بسعادة ورفاه .

إن المرأة لا تتكون اخلاقها في عهد طفولتها ، ولا في عهد شيخوختها ، وإنما تتكون أخلاقها في عهد شبابها ، فإذا سلم لها ذلك العهد فقد سلم لها كل عهد من حياتها .

فعلينا إذاً أن نفسح المجال امامها لتعيش عهد الشباب شريفة طاهرة ، ولكن لا بالعزوبة ، إذ أن العزوبة من أشد المخاطر على الانسان في عهد شبابه ، حيث النضج الجنسي والشعور بالحاجة إلى اشباع غريزته الفطرية .

أجل ، علينا أن نفسح المجال أمام المرأة في عهد شبابها لتدخل باب الزواج المبكر باب الحياة السعيدة ، بالطريقة المشروعة ، والأساليب المعقولة ، لنجد منها خير زوجة صالحة للزوج الكفوء ، وخير سيدة وربة بيت للمنزل .

إن الفتاة التي يحتقرها المجتمع ، ويزدريها شبانه ، ويعبثون بها كيفما شاءت اهواءهم ، إنما يعبثون بنفسها وضميرها ، وهي في الغد أم اولادهم ، وعماد منازلهم ومستودع اعراضهم ، فكيف يكون شأنهم معها غداً إذا هم افسدوها ؟ كيف يكون مستقبل اولادهم على يدها .

إن الشباب الذين لا يحافظون على الفتيات ، ولم يصونوا اعراضهن من كل خيانة ، سيصبحون عاجزين عن العثور على زوجات صالحات ، يحفظن لهم اعراضهم ، ويحرسن سعادتهم .

وما الجناية إلا جنايتهم ، وما هي الاثمرة ما غرست أيديهم ، فلو أنهم حفظوا

لهن الماضي لحفظن لهم المستقبل .

أقول يجب أن لا يفتح قلب الفتاة لا حد قبل أن يُفتح لزوجها الذي تعيش معه شوط الحياة ، كي لا تنغص حياتها ذكريات الماضي ، وهذا لا يتحقق الا بالزواج المبكر الذي تتفتح فيه للفتاة براعم انوثتها في حياتها الزوجية ، وتحت سقف عشه السعيـد .

فالفتاة التي تبدأ حياتها بالغرام والتنقل بين احضان الرجال ، لا تستطيع أن تتمتع بعد ذلك بحب شريف . فكم من فتاة فسدت حياتها على أيدي الـوحوش الضارية من ابناء هذا العصر والماجنين من شبابه ، إذ انهم يحبونها ويعدونها بالزواج ثم يتركونها ، ولعل البعض منهم يطلبون منها صورتها أيام الحب فإذا ما تزوجت بعد تركهم لها شهّروا بها ، أو قد يرسلون صورتها إلى زوجها ، فيحطمون حيـاتهـا الزوجية كما حطمّوا عهد شبابها ، فترجع إلى اهلها « بخفيّ حنين » وقد خسرت سعادتها الزوجية ، وتفارق زوجها بالطلاق أو بغيره ، وما ذلك الاّ نتيجة لعـدم حرصنا على فتياتنا على بناتنا ، بنات مجتمعنا ونساء امتنا .

فكأن المجتمع قد اختار للمرأة احد طريقين لا ثالث لهما ، أما الجهل الدائم او السقوط المهلك .

لذلك ابعثها صرخة مدويّة في ربوع الوطن الاسلامي إلى جميع الاباء والأمهات إلى جميع الفتيان والفتيات ، من أجل الخلاص من السقوط وبناء المجتمع الصالح : إلى الزواج المبكر وعدم المغالات في المهور ، فإن الزواج خير وسيلة للخلاص .

فإلى دفء احضان الازواج بالطريقة المشروعة ايتها الفتيات فهو اولى لكن من التنقل بين الأحضان بالطريقة المحرمة ، فإلى الزواج المبكر وإلى الأستجابـة إلى الحاجة النفسية والإنجاب الشرعي ، فإنه اولى من ممارسة الحب الساقط وعمليـات الاجهاض المحرمة ، فإلى الشرف وإلى العفة وإلى الامومة الشرعية .... إلى الزواج المبكـر .

قوامة الأسرة

إن اعطاء القوامة للرجال دون النساء لم يكن امراً اعتباطياً ولا تشهياً من قبل الله في استئثار البعض على الآخرين ، وإنما هي نتيجة الدقة في تنظيم المجموعة البشرية المبنية على علم الله سبحانه وتعالى ، وضرورة اعطائها للرجال دون النساء ، وذلك لأمـور . .

١ ـ أن القوامة التي افترضت في الاسرة ، تحتاج في مجال تحققها والاستفادة منها إلى عنصر الحزم والقوة في من تسند إليه . والمرأة لا تصلح لهذه المهمة لاسباب ترجع إلى تكوينها النفسي والفسلجي .

٢ ـ أن يكون من تسند إليه مهمة القوامة قادراً على تنفيذ ما تقتضيه حاجة الاسرة إليها ، ويملك كلمة الفصل عند نشوب أي خلاف داخل نطاق الاسرة .

٣ ـ أن تكون لصاحب القوامة القابلية الادارية التي تمكنه من القدرة على ضمان سلامة الاسرة من الاضرار ، وتحمل مسؤولياتها في جال التدبير . وهذان امران لا تملك فيهما المرأة ما يملكه الرجل ، وليس معنى ذلك أنها لا تستطيع القيام بهذه المهمة مطلقاً ، وإنما تكون في الأعم الأغلب لا تقوى على القيام بها كما يستطيع الرجل ، ولذلك اعتبرت القوامة حقاً طبيعياً للرجال دون النساء

فالرجل الذي يتحمل مسئوولية الاسرة في الكسب والانفاق ويكدح في الحر والبرد ، من أجل تغطية نفقاتها ورفع مستواها الاقتصادي في العيش باذلاً من أجل ذلك كل ما يملك من جهد ، لهو اعرف بمقدار دخلها وكيفية التدبير والانفاق عليها ، ومعالجة مشاكلها وبذلك كانت القوامة حقـاً طبيعياً لـه .

أما المرأة التي هي مسؤولة عن تدبير البيت ، دون أن تتحمل أي قسط مما يتحمله الرجل من التعب والمشقة ، في سبيل توسعة حياة الاسرة في المجال المادي ، ليست القوامة لها كحق طبيعي ، وإنما هي من حق الرجل لأنها تناسب تكوينه النفسي والفسيولوجي من جهة ، وقدرته على تدبير الاسرة وادارتها من جهة أخرى .

وللتأكد من صحة رأي الاسلام في اعطاء القوامة للرجل دون المرأة ، نقول : أن القضية لا تخرج في نطاق القيام بها عن فروض أربعة :

١ ـ أما أن تستقل المرأة بالقوامة دون الرجل .

٢ ـ وإما أن يشترك الرجل والمرأة بها معاً .

٣ ـ وإما أن لا توجد القوامة اصلاً .

٤ ـ وإما أن يستقل بها الرجل دون المرأة .

والفرض الأول : غير راجح ، وذلك لأن المرأة لا تصلح للاستقلال بالقوامة ، بسبب تكوينها وطبيعتها العضوية والفكرية ، إذ أن القوامة تحتاج إلى حزم وتدبير وهذا ما لا يمكن القيام به من قبل المرأة . ومع فرض اعطاء القوامة لها فإن المسألة تثير حياة الفوضى ، ونشوب الخلاف الدائم والصخب في حياة الاسرة ، وبعدها تقديم الاحتجاج من قبل الرجال على النساء .

فإذا كانت المرأة تحتج على اعطاء القوامة للرجل دونها ، رغم عدم كفائتها البدنية والفكرية لتحمل هذه المسئولية ، فالرجل وهو الكفوء لتحمل اعباء مسئولية القوامة ، اولى بهذا الاحتجاج والمطالبة بحقه الطبيعي المسلوب .

أما الفرض الثاني : فهو تعاسة الحياة الزوجية ؛ لاستمرار الخلاف بين الزوجين وعدم انصياع احدهما للآخر ، إذ لم يكن احدهما يملك كلمة الفصل ، ثم يعتبر كل منهما الآخر متجاوزاً على حقه ومنتهكاً لكرامته ، سواء أكانت هذه المشاركة في القوامة في كل أمر من امور الاسرة ، أو انهما يتفقان في أن يكون كل واحد منهما قيمّاً على ما تحت يده من الأعمال ، إذ أن الاتفاق بينهما لا يحتمل استمراره

في مجال التطبيق العملي .

وافتراض ذلك إنما يكون بعد اعتبار القوامة حقاً شخصياً ، حيث يجوز معه للرجل التنازل عن حقه أو عن بعضه لغيره ، أما إذا كانت القوامة حقاً شرعياً للرجل دون المرأة فلا يجوز له أن يتنازل عنها أو عن بعضها إذ أن ذلك يعتبر رداً على الله في أمر خص به الرجال دون النساء ، نعم نحتمل فيها التوكيل دون التنازل .

إذ يجوز للرجل أن يوكل زوجته أو من تجب نفقتها عليه ، في الانفاق على من يعولهم ، أو يوكلها في مهمة رعايتهم إذا لم يكن هناك مانع يمنع من ذلك .

وأما الفرض الثالث : وهو عدم وجود القوامة اصلاً : وهذا خلاف ما تقتضيه طبيعة الحياة الاجتماعية ، والتنظيم البشري .

وتصور انتفاء القوامة في الاسرة يكون حصيلة احد امرين :

أ ـ أما أن يكون انتفاءها لعدم الجعل من قبل الله تعالى : وهذا بخل يتنزه عنه سبحانه إذ أنه الجواد المطلق ، وحيث أن تنظيم الاسرة وسلامتها من التسيب والاهمال يستدعي القوامة على نحو الضرورة .

ب ـ وأما لعدم الالتزام بها من قبل الرجال بعد جعلها لهم من قبل الله ، وهـذا معناه الرد على الله والتفريط في مصالح الاسرة ، وحقوق المجموعة البشرية إذ أن الاسرة هي الخلية الحيّة واللبنة الاساسية في بناء المجتمع ، فيكون رد القوامة رداً لحق شرعي جعله الله تعالى للرجال دون النساء .

وأما الفرض الرابع : وهو ، أن يستقل الرجل بالقوامة دون المرأة وهو الفرض الصحيح ، والمناسب لجعله أساساً في تدبير الحياة العائلية ، ولذلك رجحّه الاسلام ، واعتمده القرآن الكريم لضمان صلاح الحياة الزوجية واستقرار الاسرة[1] .

---

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن بتصرف

﴿ **الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من اموالهم ....** ﴾[1] ، والآية فيها احكام منها :

أن الرجال قوامون على النساء ، أي لهم عليهن الولاية والسياسة ويعلل ذلك بأمرين :

أ ـ موهبي من الله : وهو فضل الرجال عليهن بأمور كثيرة من كمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ، ولذلك خصّوا بالبنوة والامامة والولاية والجهاد وقبول شهاداتهم في كل الأمور وزيادة النصيب في الأرث وغير ذلك .

ب ـ كسبي : وهو انهم ـ أي الرجال ـ ينفقون عليهن ويعطوهن المهور في الزواج ، مع أن فائدة النكاح مشتركة بينهما[2] .

ومن خلال ما عرضنا من فروض محتملة في المسئلة ، تبين لنا أن الفرض الرابع هو الفرض الصحيح الذي يتناسب مع طبيعة كل من الرجل والمرأة وتكوين كل منهما من الناحية النفسية والعضوية والعقلية ، ولذلك وقع في علم الله تعالى اختياره ، وجعله حقاً للرجال دون النساء لا من باب الاستئثار وإنما من باب الكفاءة وتوفر الأهلية في الأعم الأغلب والله هو ارحم الراحمين .

---

(١) سورة النساء آية ٣٤ .

(٢) كنز العرفان للحجة السيوري ج ٣ ص ٦٩ منشورات دار الأضواء طبع النجف .

وقاية المجتمع وصيانة الأسرة

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوّا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ....** ﴾[1]

والذي يلفت النظر في الآيتين الكريمتين انهما حين خاطبتا الرجال امرتهم بغض الابصار وحفظ الفروج ، في الوقت الذي خاطبتا النساء بغضّ البصر وحفظ الفروج وعدم ابداء الزينة للاجنبي ، الذي يجوز لهن الزواج منه .

ونلاحظ عندها فرقاً واضحاً في موضوع الخطاب الموجه إلى كل من النساء والرجال ، فهو حين يخاطب الرجال يأمرهم بأن يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ولكنه حين يخاطب النساء لم يكتف منهن بغضّ الابصار وحفظ الفروج وإنما يطلب منهن زيادة على ذلك عدم ابداء الزينة الا لمن استثنتهم الآية الثانية .

وهنا قد يتسائل البعض لماذا هذا الفرق ؟.

وللإجابة نقول : أن الله سبحانه وتعالى حين خلق الخلق أراد لهم كل خير وأبعادهم عن كل شر ، ومن جملة الشرور التي أراد ابعاد خلقه عنها هي مفسدة الزنا ، التي إن تفشت تؤدي إلى ضياع الانسان وفوضى التناسل . والقضية لا تتعلق بسلامة رجل دون آخر أو امرأة دون غيرها ، أو اسرة أو جماعة وإنما تتعلق بسلامة الانسانية بكل ابعادها ، وصيانة المجموعة البشرية ، من أجل صياغة المجتمع

---

(١) سورة النور آية ٣٠ ـ ٣١

صياغة بعيدة عن كل مفاسد الحياة ، سليمة من همجية الاختلاط .

فالرجل حين خوطب بغض البصر وحفظ الفرج ، لأنه في مجال العملية الجنسية لا يقوم الا بدور الطلب ليس إلاّ ، فإذا غض بصره استطاع أن يحفظ نفسه من متابعة المرأة ، ويحفظ فرجه من الوقوع بجريمة الزنا ، على أساس من التربية التي يتبعها في العقيدة الاسلامية ، والمناعة النفسية التي حققتها له . فإذا غض بصره وحفظ فرجه فقد انتهى عن الجريمة ، وقضي الأمر الذي استهدفه الاسلام من أجل سلامة المجتمع من فوضى الاختلاط .

أما المرأة فلا يكتفي منها بأن تغض بصرها وتحفظ فرجها ، لأن ذلك لا يمنع من متابعتها إن هي بقيت مبدية لزينتها .

فأظهار زينة المرأة وتجسيد مفاتنها ، يستهوي الرجال ويجعل من جمالها وأنوثتها عاملاً مهمّاً في متابعتهم لها ، لذلك خاطبها القرآن زيادة على ما خاطب به الرجل ، أن لا تبدي زينتها إلا لمن استثنتهم الآية الكريمة الثانية ﴿...... **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** .... ﴾[1] .

فالبصر والفرج يمثلان دور الطلب ، والزينة تمثل دور العرض .

ولما كانت المرأة تعرض نفسها بزينتها ، لم يكتف القرآن منها بغض البصر وحفظ الفرج ، إذ أن البصر والفرج لا يمثلان إلاّ دوراً واحداً ، ولا صيانة للمرأة إلاّ بحفظها مما يمثله الدوران معاً ــ البصر والفرج دور الطلب ــ والزينة دور العرض .

بخلاف الرجل فإنه تحصل له الصيانة بغض البصر وحفظ الفرج ، إذ ليس لديه الا تمثيل دور واحد وهو دور الطلب ليس الاّ .

وقد تكفل ما ورد في الآيتين الكريمتين علاج الفساد في علاقات الجنسين من بداية الخط في الحياة الاجتماعية حتى نهايته ، وأغلق كافة المنافذ الموجودة والمحتملة التي يمكن أن يتسرب منها الفساد إلى المجموعة البشرية ، من أول الأمر لئلا يستفحل

---

(١) سورة النور آية ٣١ .

الداء فلا ينفع الدواء .

وخذ لذلك مثلاً ، ان سلكي الكهرباء يسيران جنباً إلا جنب ، ولا غنى لا حدهما عن الآخر ، إذ أن أحدهما يحمل شحنة كهربائية سالبة ، والآخر يحمل شحنة كهربائية موجبة . ورغم حاجة كل منهما للآخر فأن الفصل بينهما أمر ضروري ، لذلك نجد كل سلك منهما ملفوفاً بعازل يعزله عن صاحبه ، ولكنهما حين يحدث بينهما الاتصال في المكان المناسب تحصل نتيجة لهذا الاتصال الاضاءة وهي الغرض المطلوب من وجودهما واتصالهما في المكان المعين والوقت المناسب .

بينما لو حصل هذا الاتصال في مكان آخر غير المكان المناسب لأدى إلى تعطيل التيار وعطب الاسلاك . ومضاعفات أخرى كالحريق والأضرار بالأرواح والأموال وغير ذلك .

فكيف يكون الأمر لو حصل الاتصال بين السلكين على طول امتدادهما ، ورفع العازل بينهما ؟

فكذلك نجد أن الفصل بين الجنسين ، بين الرجل والمرأة ، معناه المحافظة على كل طرف منهما من المضاعفات التي قد تودي بحياة البشرية وخيراتها وسعادتها . فالمحافظة عليهما هي المحافظة على مهمة كل طرف منهما لتتحقق النتيجة المرجوّة منهما بشرف وعفة وصواب .

وهكذا نجد أن الاسلام قد استطاع تشخيص الداء والتعرف على عوامله وأسبابه . منذ أن يبدأ بالنظرة البريئة والكلمة النزيهة ، حتى ينتهي ساعة السقوط والأندماج الجنسي .

أضف إلى ذلك أنه افصح عن عدم كفاية الانسان عن السقوط بالمحافظة على نفسه . ما لم يكن ذلك مسبوقاً بصيانة العين واليد والحواس ، التي هي مسارب الشهوة إليها . ومع عدم الصيانة لا يسلم الانسان من الخيانة ، نظرةٌ فابتسامةُ

---

(١) مجلة كل شيء عدد ١١٠٣ سنة ١٩٧٦ شباط ٢٨ .

فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ [1] .

كلمة عابرة ونظرة خاطفة ، ولقاء تعارف ومجاملة ، ثم لقاءآت مكثفة وأحاديث حلوة وبعدها المواعيد ، والخلوات المريبة حيث اللمس والقبل الحارة ، ونشوة الحب والضم حتى الفضيحة ، والسقوط عند غيبة العقل والرشد تحت تأثير نشوة الجسد وسكرة الهوى . ولا يشعر كل من الرجل والمرأة الاّ بعد انقيادهما إلى الحاح الشهوة وأشباع الغريزة .

فالعلاج الصحيح والدواء الصالح هو أن يطهّر الانسان نفسه مما تمليه عليه غريزته ، مما يختلف والخط السوي لغريزة الجنس ، الذي رسمه الله لعباده ، لينعكس ذلك على سلوكه بشكل عملي يحفظ معه المجتمع من الانحرافات ويصون الاسرة من السقوط ﴿ **وما ابرىء نفسي إن النفس لامّارة بالسوء الا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم** ﴾ [2] .

وتطهر الانسانية من فوضى الاختلاط ، وتحفظ الانساب بشكلها الموروث ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [3]

ذلك أزكى للعلاقات بين الجنسين ، وأتقى للاخلاق ، واطهر للسلوك ، وهذا هو خير ضمان يقدمه الاسلام للبشرية ، اهملته القوانين والشرائع الوضعية ، واهتم به فقدمه خير عطاء بدستوره القويم القرآن الكريم :

﴿ .... **يغضّوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم** ... ﴾ [4] .

---

(١) للشاعر المعروف أحمد شوقي .

(٢) سورة يوسف آية ٥٣ .

(٣) سورة الرعد آية ١١ .

(٤) سورة النور آية ٣٠ .

انحراف المسلمين عن الالتزام بالزواج في الاسلام

- اسبابه وعوامله
- نتائجه واضراره

من أسباب الانحراف

من الاسباب التي جعلت المسلمين ينحرفون عن الزواج هي : عدم الالتزام بالمقياس الشرعي ، وجعل المقياس المادي هو المعيار للزواج . وإرتفاع المهور . والتفريق بين الناس على أساس من التفاوت الطبقي .

ومن الاسباب الرئيسة للانحراف تقليد الغرب في مسيرته الانحرافية ، وعدم الاعتناء بالزواج كرابطة انسانية ، وظاهرة اجتماعية لا غنىً عنها . أضف إلى ذلك الانفلات السلوكي ، واطلاق الحرية بشكل اكتسح الكثير من الاعراف والتقاليد والعادات الخيّرة ، مما ادىّ إلى انخفاض نسبة الزواج بشكل ملحوظ .

فالحرية المطلقة في امريكا مثلاً التي يمارسها الشباب الامريكيون من ذكور وإناث في حياتهم الجنسية بصورة فظيعة ، قد أدّت إلى تهديم الكيان الاجتماعي والعائلي بصورة خاصة .

فقد نشرت، مجلة تايم الامريكية : « إن العذريّة قد فقدت اهميتها خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة ، وعادت مسألة غير ذات اهمية بالنسبة إلى الفتيات ، وقد دلت الأحصائيات أن ١/٦ من الفتيات الامريكيات يتزوجن وهن حاملات من علاقات جنسية سابقة . وقد إرتفعت نسبة الفتيات اللواتي وضعن أولاً من علاقات جنسية غير مشروعة ، وذلك من الفتيات اللواتي تقل اعمارهن عن العشرين سنة ..... من ٤ و ٨ في الألف في سنة ١٩٤٠ إلى ١٦ في الألف في سنة ١٩٦١ .

وإرتفعت النسبة بين الفتيات اللواتي تجاوزن العشرين سنة إلى خمسة وعشرين من ١١ في الألف إلى ٤١ في الألف .

أما مجلة خواندينها بعددها ٧٤ سنة ٤٥ فقد نشرت احصائية هي : : « أن

عدد الزيجات في آمريكا في سنة ١٩٤٦ بلغ ٢،٢٩١،٠٠٠ زيجة أي ما يساوي نسبة ١٦٤ في الألف ، وفي سنة ٩٥٦ بلغ عدد الزيجات ١،٥٨٥،٠٠٠ أي ما يساوي نسبة ٩٥ في الألف ، وحسب هذه الاحصائية فقد هبطت نسبة الزواج في عرض عشرة سنوات إلى النصف[١] .

ولما قلد ابناءنا وبناتنا ، بل بتعبير اصح ، لما قلد مجتمعنا المجتمعات الغربية ، واطلق الحرية المرّة للفتيات والفتيان ؛ هبطت نسبة الزواج بشكل واضح تماماً كما حصل في المجتمعات الغربية .

والمرأة مهما حصلت لها من شهرة خارج نطاق الرباط الزوجي والمجتمع العائلي فإنها تشعر بفراغ كبير في حياتها ، وهذا الفراغ لا يملأه الا عش الزوجية .

لذلك كتبت النجمة السينمائية الشهيرة (مارلين مونرو) في رسالتها المحفوظة في صندوق الأمانات في نيويورك :

« ...... إني اتعس امرأة على هذه الأرض .... لم استطع أن أكون اماً .... اني امرأة أفضّل البيت .... الحياة العائلية الشريفة على كل شيء . إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز لسعادة المرأة بل الانسانية »[٢]

فيا فتياتنا ويا فتياننا يا فلذات أكبادنا ، الا تكفينا تلك الادلة لنكف عن الانحراف وتقليد الغرب ؟ ونعود إلى طريق الحق ومسرب الصواب ، فنحفظ أنفسنا وحضارتنا وتراثنا ، ونبني للأجيال الكيان الاجتماعي السليم ونحقق الكرامة والسعادة .

---

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن للشيخ الآصفي .

(٢) المصدر السابق .

غلاء المهور وأثرها في تأخير الزواج

إن غلاء المهور وارتفاع مقاديرها والتباهي بالغلو فيها ، من المشاكل الاجتماعية التي طعنت كرامة الأمة في الصميم ، وحطمت كرامة المرأة في حياتها الزوجية .
إن الآباء مسؤولون بالدرجة الأولى عن بناتهم من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ، وعما وصلن إليه من هبوط إلى مصاف الرقيق ، بما ما رسوا من نشاط في رفع مقادير المهور . فإنهم في الوقت الذي يريدون فيه الارتفاع لبناتهم برفع مقادير الصداق، يهبطون بهن إلى مصاف الأماء، جاهلين أو متجاهلين الأضرار الاجتماعية وغيرها من الأضرار الأخرى التي نجمت عن هذا الغلاء في المهور . فهم يظنون أن البنت إذا غلا مهرها ؛ ارتفعت قيمتها الاجتماعية بين قريناتها ولداتها ، وقد غاب عن فهمهم أن الإسلام يرى أن الفتاة مهما غلت نفسها رخصت بمهرها، وقبلت الزواج على انه شركه روحية وسنة إسلامية . وقد ورد عن النبي (ص) : «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً»[1] .

ولو استفتيت البنت في عصرنا الحاضر الذي تحكمت فيه الأعراف الجاهلية العمياء ، وتقاليدها البغيضة ، لأعطت كلمتها في أنها لا ترضى أن تحدد لها قيمة باسم المهر عند الزواج ، ولكن العرف الأعمى والتقاليد الظالمة هي التي انحرفت بها إلى مصاف السلع ، فأنقصتها قيمتها وهبطت بها إلى المستوى الذي وصلت إليه .

أقول : ماذا وكيف يتعقلون هؤلاء الآباء من غلاء المهور ؟ وهم يعلمون ان

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ١٩٨ و ٢٠١ مؤسسة الأعلمي بيروت .

الرزق على الله تعالى ، وقد قدم الضمانات في كتابه المجيد : ﴿**وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾[1]. وكيف يرضون لبناتهم أن تصبح سلعة في أسواق العرض لتصبح غنيمة من نصيب من يدفع لها ثمناً أكثر ؟ .

وماذا يقولون لو أنها رست في النهاية عند عرضها في المزاد العلني على زوج ثري ، ولكن لا خلق له ولا دين ؟ ، أليس فعلهم هذا خيانة لشرفهم وعرضهم ، ومخالفة صريحة واضحة لرسالتهم ؟ ، وتحدياً سافراً للأحكام الشرعية .

جاء رجل إلى الحسن بن علي (ع) يستشيره في تزويج ابنته ، فقال الإمام (ع): زوجها من رجل تقي فإنه إن أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها[2].

وقال رسول الله (ص) : من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه[3] . أو ما يعلمون هؤلاء أن فاطمة (ع) وهي ابنة سيد البشر وخير خلق الله ، كان صداقها درعاً باعه زوجها أمير المؤمنين (ع) واشترى بثمنه مستلزمات بيتها ، التي لا تتجاوز كونها حشيَّة من قش ومطحنة وبعض الأواني ، ثم زفت إلى بيته الذي ليس فيه إلا تلك الأثاث البسيطة ، غير مكرهة ولا مغصوبة . وحين استشارها أبوها (ص) في أمر تزويجها من علي (ع) وافقت ورضيت به ، وهي تعلم أنها ستقترن بزوج فقير لا مال له ، ولكنه أمير المؤمنين (ع) ، وكفاها بذلك فخراً أن تكون له زوجة ويكون لها زوجاً .

لقد كان بمقدورها أن تقبل أثرى رجل في الحجاز ممن خطبوها ، لو شاءت أن تفضل الحياة البرّاقة ، وهي ابنة رسول الله (ص) وقبلة أنظار الخاطبين والراغبين في الزواج .

ولكنها أبت إلاّ أن تختار الحياة الزوجية السعيدة ، وفضلت الراحة الروحية

---

(١) سورة النور آية ٣٢ .

(٢) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٣) المصدر نفسه ص

مع زوج مؤمن فقير على المتاعب المادية مع غيره من الأثرياء .

ورب معترض يقول بأن مقتضى الحال ومستلزمات العصر تفرض على المجتمع غلاء المهور ، ذلك لأن تجهيزات البيوت الحديثة ليست كالتي كانت عليها الحالة أيام فاطمة (ع) . وفي الإجابة نقول : إن هذا الاشكال إلى حدّ ما صحيح ، ولكن لا ينبغي أن يكون الأمر بهذا الشكل لأمور :

١ – انه لا تلازم بين الزواج وتأثيث البيت بالشكل الذي يستدعي ارتفاع الصداق إلى حد يكون معه عقبة كأداء في مسيرة الزواج ، وهو وإن كان من القضايا المهمة ولكن لم يصل إلى حد الضرورة التي يتوقف عليها الزواج . أما كون التأثيث من الأمور العرفية المتسالم على الالتزام بها ، فلا معنى لهذا الالتزام إذا تعارض مع تحقق الزواج .

٢ – إن تأثيث البيت من الأمور التي تخص الزوجين ، ومن الممكن تحقيقه بشكل تدريجي يتفق على كيفيته الزوجان ولا دخل لأهل الزوجة فيه مطلقاً .

٣ – إن ارتفاع الصداق بسبب هذا المبرر مخالف للإسلام وسنته في النكاح ، لما تترتب عليه من أضرار ، ولقول رسول الله (ص) الذي مر في صدر الموضوع «..... واقلهن مهرا»[١] .

٤ – إن الالتزام بالتأثيث حسب مقتضيات العصر كشرط ، يفرض على الأزواج في الأعم الأغلب ، الاستدانة حال عوزهم من أجل تحقيق هذا التأثيث ، وقد يعجز الزوج عن تسديده ،فيكون مردوده تحطيم حياة الزوجين .بما يترك من أثر النفورة والكراهية في نفس الزوج لزوجته ، التي كانت سبباً في تحميله أعباء ذلك الدين .

لذلك لا يصح بأي وجه من الوجوه أن نجعل من الصداق من أجل مبررات ثانوية ، عقبة في طريق الفتيان والفتيات . وان الشارع المقدس يلح بندائه ويحبب

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي ص ١٩٨ – ٢٠١ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٢) المصدر السابق من أحاديث الرسول (ص) ص ١٩٦ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

النكاح لهم : «يا شاب تزوج وإيَّاك والزنا فإنه ينزع الإيمان من قلبك»[2] .
و «الركعتان يصليهما متزوج أفضل من صلاة رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره»[3] . و «من سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة صالحة»[4] .

فيا أيها الآباء رحمة بأبنائكم وبناتكم ، وقليلاً من الحياء والغيرة والوجدان ، والتزاماً بمقياس التقوى ومعيار الايمان ، افسحوا الطريق أمامهم فالأمر جد عسير ، والطريق خطر والعاقبة وخيمة .

أرى خَلَل الرمادِ وَميضَ نارٍ ويوشكُ أن يكونَ لها ضرامُ
فإن لم تُطفها عقلاءُ قومٍ يكونُ وقودها جُثثٌ وهَامٌ

---

(١) من أبيات لنصر بن سيّار بعث بهن إلى محمد بن مروان أحد خلفاء الأمويين .

(٣) المصدر السابق ن ١٩٧ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٧ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .

تأخير الزواج وأضراره على المجتمع

نشرت جريدة العرب البغدادية[1] تحت عنوان « ظاهرة خطرة في ألمانيا – فتيات قاصرات يصبحن أمهات بغير زواج شرعي – عالم اجتماعي يلقي تبعة هذه الكارثة الإجتماعية على الوالدين ، (٢٥٠,٠٠٠) ربع مليون من الفتيات ، ممن تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والثامنة عشرة قد أصبحن أمهات . « يستدل من الإحصاءات الرسمية التي صدرت في ألمانيا على أن في هذه البلاد حوالي (٢٥٠,٠٠٠) ربع مليون من النساء الصغيرات أي الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٢ و١٨ – قد فقدن بتوليتهن وهن ما زلن دون البلوغ . وهذه ظاهرة اجتماعية تدل على خطر بالغ في بنية الأمّة » .

« وجاء في إحصاءآت مماثلة أن السنوات الخمس الأخيرة قد سجلت زيادة تبلغ ثلاثة أضعاف عدد الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٢ و١٦ سنة وقد أصبحن أمهات من غير زواج شرعي يضاف إلى ذلك أن الأمراض الجنسية المتفشية بين الأمهات الصغيرات قد تضاعفت عمّا كانت عليه قبل خمس سنين ، كما زاد أيضاً عدد اللواتي يراجعن دور الحضانة لإيداع أطفالهن فيها »[2] .

ولم تكن الأضرار المترتبة على تأخير الزواج محصورة في هذه الأرقام فحسب ، بل هناك أضرار أخرى ، منها تفشي العزوبة التي من نتائجها القلق النفسي ، وعدم الاستقرار الإجتماعي ، وشيوع رذيلتي اللواط والسحاق . وتعرض المجتمع إلى

---

(١) جريدة العرب عدد ٢٠٧٩ الصادر في ٢٨ أيار سنة ١٩٦٤ – ١٦ محرم ١٣٨٤ هـ .

(٢) المصدر نفسه .

كثير من الأمراض النفسية والجنسية ، وتعريض الأجيال الآتية إلى المخلفات النفسية والجسدية والمرضية الموروثة التي تنتقل إليها ، بسبب هذه الإنحرافات .

ومن مضاعفات تأخر الزواج وأضراره حوادث الاغتصاب ، فقد نشرت مجلة أسرتي الكويتية[1] تحت عنوان «حوادث الاغتصاب» : فقد أثبتت الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية أنه بلغ عدد النساء المغتصبات (١٨٠,٠٠٠) مائة وثمانون ألف امرأة في السنة .

وفي فرنسا (٣٠,٠٠٠) ثلاثون ألف فتاة يفقدن عذريتهن بالاغتصاب في كل سنة .

وفي بريطانيا (٢٥,٠٠٠) خمسة وعشرون ألف امرأة وفتاة يتم اغتصابهن في السنة .

وفي إيطاليا (٢٠,٠٠٠) عشرون ألف .

وخلال السنوات الخمس الأخيرة ارتفعت حالات الاغتصاب في أمريكا وأوروبا بنسبة ٦٠ ٪ عن السنوات الخمس التي قبلها .

وفي بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية رجل اغتصب وحده ، (٦٠٠) ستمائة امرأة وفتاة وخنق منهن ١٣ ثلاثة عشر خلال الفترة ما بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .

ثم يضع الكاتب عنواناً جانبياً : تعرت المرأة فتعرضت للاغتصاب» ضمن موضوعه الرئيسي - حوادث الاغتصاب .

فيقول : كيف تعتبرون الرجال هم المذنبون في قضايا الاغتصاب .

في حين أن المرأة هي المذنبة الأولى بعد أن شجعت الرجل على اغتصابها بتعرية نفسها كشفها لكل مواطن الفتنة والأنوثة في جسدها . والواقع أن ليس من ذنب بالدرجة الأولى يقع على الرجل المُغتصِب والمرأة المُغْتَصَبَة ، وإنما الذنب كل الذنب من المجتمع الذي أخر الزواج ومهد بأسباب أخرى لشيوع الرذيلة كالزنا

(١) مجلة أسرتي عدد ١١ السنة الثانية عشرة وتاريخ ١٩٧٦/٥/١٥ .

واللواط وحوادث الإغتصاب» .

وهذه الظواهر الخطيرة حسب الإحصاءآت التي نقلت إلينا ، وغيرها من الإحصاءآت الأخرى التي تطل علينا كل يوم على صفحات الصحف والمجلات في كافة أنحاء العالم ، تعطينا درساً مقنعاً على أن الزواج المبكر هو خير علاج لمكافحة هذه الظاهرة واجتناب المفاسد المترتبة عليها ، وإخراج مجتمعنا ووقايته من أمثال تلك المفاسد الإجتماعية الخطيرة التي يندى لها الجبين ويفزع منها حتى سكان الغاب .

جناية المجتمع وجريمة الآباء

لو استعرضنا الحياة الإجتماعية التي يعيشها الشعب العربي بصورة خاصة ، وتعيشها شعوبنا الإسلامية بصورة عامة ؛ لأطلعنا على كثير من الحوادث التي يندى لها جبين الإنسانية ، وينفر منها حتى الحيوان المتوحش .

نقل أن فتاة حسناء جاءت إلى مصر مع والديها للارتزاق ، وكان والداها بائسين ومن ذوي النفوس المنحطة ، فدفعاها إلى التسول ثم إلى العمل في بعض الحانات . ولم تخل في بداية عملها من خفر وحياء ، ولكنها فقدتهما في الحانة بعد برهة من الزمن ، إذ قد تعودت مباسطة الشاربين وإغراءهم على التمادي في الشرب والانفاق ، فأظهر لها أحدهم هيامه بها ، وأظهرت هي التودد له علّه يتزوجها ؛ لينتشلها من خدمة الحانة إلى عيشة عائلية محترمة . ووعدها بالزواج وماطلها أيّاماً وسوف في وعده بعدما شربا كؤوس الحب حتى الثمالة ، وعاشا بنشوة الممارسات الجنسية ، ولم تشعر إلاّ وإذا بها تحمل في بطنها جنينا .

وانكشف لها أن صاحبها يخادعها ، وكاد أمرها أن يفتضح ، فلم تر بدّاً من قتل جنينها طلباً للخلاص من عار الفضيحة . وهكذا قضى ذلك الجنين ضحية العواطف الهوجاء ، وغدر المتصيدين الفساق[1] .

وعادت المسكينة إلى التسول مرة أخرى .

وبعد هذا فعلى الآباء طلباً لنجاة فلذات أكبادهم من السقوط ، ومكائد المجتمع الغادر ، أن يسارعوا ويبكروا في تزويج بناتهم من الأكفاء قبل فوات

---

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ط ٤ ص ٢٣٢ أنيس الخوري .

الأوان ، كي لا تدنس الأعراض وتتدهور الأخلاق ، فيسقط المجتمع .

والذي نرجوه منهم الأصغاء والمسارعة إلى ما يقدمه المصلحون من علاج ، والالتزام بالخط السوي :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً — بين الرجال يجلن في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع — يحذرن رقبته ولا من واق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا — في الحجب والتضييق والاطلاق
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا — فالشر في التضييق والأطلاق[1]

فلقد لعبت المدنية المادية دوراً مهماً في تفسيخ الجيل ، وهدم القيم والأخلاق .
إذ أن المدنية ليست كلها نعم ومباهج .

فإنها كما تكون سبيلاً للرقي والهناء ، تكون كذلك سبيلاً للتقهقر والشقاء .

ومن أسباب التقهقر والشقاء ما جاءت به المدنية معها من مختلف ألوان الترف والرخاء والخلاعة .

فالافراط بالترف وما يلحقه من مفاسد ، أضعف الاخلاص بين الناس وزعزع أركان الكيان الاجتماعي .

تظنون هذا العصر عصر هداية — وأجدر لو تدعوه عصر ضلالات[2]

* * *

خداع وكذب واقتراف وقسوة — وظلم أهذا العالم المتمدن[3]

إن المدنية الغربية أدخلت معها إلى الشرق والشرق الإسلامي بصورة خاصة كثيراً من الموبقات ، فاندفع في تيارها الكثير ممن لم يدرك معناها الحقيقي ، وجرفهم ذلك التيار بشكل فظيع حتى كان ما كان من عواقب وخيمة ومآس مؤلمة ، تركت آثاراً سيئة في النفوس ، ونتائج سلبية في المجتمع .

---

(١) شاعر النيل حافظ إبراهيم الشعراء الثلاثة للسندوبي .
(٢) الشيخ الشبيبي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث أنيس الخوري الطبعة الرابعة ص ٢١٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١٧ دار العلم للملايين .

«ولا خوف على الشرق إذا هو حاكى الغرب فيما هو نتيجة للعلم من اتخاذ ثمراته وأدواته ، ولكن الخوف كل الخوف يوم تسير المحاكاة في جو من نسيان النفس والماضي ، وفي ضرب من الخفّة والرعونة فيلتقط الزبد ويترك في الأرض ما ينفع الناس»[1] . واتفق أن التمدن جاء بلاد مصر وهي في مهاوي الانحطاط على اثر استبداد المماليك ومن جرى مجراهم ، ولكنه لم يتناول في أول عهده إلا التعليم والتربية مع المحافظة على الحشمة الشرقية ، وأما التهتك أو خرق الحجب فلم يظهر إلا في أواخر القرن الماضي لما كثر تقليدنا للافرنج حتى فيما ينافي فطرتنا[2] .

وكتب الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقال له – على الشاطئ – – من وحي الرسالة – وهو يرد على من يزعمون : أن السباحة المختلطة روح رياضية تهيمن على الحياة . فيخاطب إحدى السيدات : «أين تجدين الروح الرياضية في هذه المرأة التي علت صدر هذا الرجل لتتعلم فوقه السباحة ؟ وأين تجدين الروح الرياضية في هذين الجسدين الراقدين على الرمل يتلامسان بشهوة ويتناجيان بنشوة ، وقد انمحى من حولهما البحر والشاطئ والناس»[3] .

فلو قيل أن هناك مجتمعات تستسيغ الزنا وتعتبره مفخرة ، وليس بجريمة ، منها فلسفة اللذة والسعادة ، ومنها الوجودية ، ومنها الماركسية عندما يقتضي تطور وسائل الانتاج ذلك ، ومنها المجتمعات البدائية التي تقر الزواج الجماعي ، ومنها مجتمع الألاسكا الأمريكي الذي يرى من الواجبات الأولية لإكرام الضيوف توفير الجنس لهم .

نقول : إن تلك الاتجاهات الاجتماعية ، التي أباحت لأصحابها الزنا في مرحلة من حياتها أو مطلقاً ، بأي شكل من الأشكال ، وبأي سبب كان . إنما أباحت

---

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث أنيس الخوري ط ٤ ص ٢١٧ . من خطبة للدكتور منصور فهمي يقابل فيها بين الروح الشرقية والمدنية الغربية .

(٢) مجلة الهلال جرجي زيدان ١٠ – ١١١ .

(٣) الاتجاهات الأدبية ص ٢٢٢ ط الرابعة أنيس الخوري المقدسي .

ذلك على أساس من اتجاهاتها الفكرية التي آمنت بها في الحياة .

ولما تهافتت هذه الاتجاهات بكافة مذاهبها الفكرية ، عند مناقشتها من قبل المفكرين والكتاب المسلمين ، وثبت بطلانها في محله ، فيكون تبعاً لذلك ، ان ما أباحته لنفسها غير صحيح ومخالف للفطرة البشرية السليمة .

وإنني لا أريد الدخول في مناقشة تلك المذاهب ؛ لكون الكتاب مقصوراً على بحث الزواج في الإسلام فيكون خارجاً عن الزواج في المذاهب الأخرى بالتخصص. فالدخول في مناقشتها معناه الخروج عن خطة الكتاب وإطاره العام . فمن أراد الاطلاع على المناقشات مع تلك المذاهب والاستزادة من الوقوف عليها فليطلبها في مضانها في ما صدر عن رواد الفكر الإسلامي المحدثين الذين زودوا المكتبة الإسلامية بنفائس مؤلفاتهم الجليلة .

ولكنني رغم ذلك أقول : إذا كان قصد أصحاب تلك المذاهب من إباحة الجنس :

آ - مراعاة المرأة من أجل إشباع رغبتها الجنسية ، فإن الإسلام قد أولى تلك الرغبة العناية منذ فجره التشريعي حيث ترك لها حق اختيار الزوج الكفوء ، ومن شروط أهلية الزوج إشباع رغبة زوجته الجنسية ، ووضع الإسلام التعاليم الدقيقة ، والكفيلة ببيان كيفية إشباع تلك الرغبة بمنتهى الآداب ، وبشكل لم يتنبه العلم الحديث إلى معرفتها ولم يصل الإنسان إلى فهمها إلاّ في منتصف القرن العشرين .

فقد وردت عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) أحاديث تحدثت بصراحة عن إشباع الرغبة الجنسية وآدابها .

فعن النبي (ص) : «لا ترتموا على نسائكم كالبهائم بل اجعلوا بينكم ، وبينهن رسولا . قيل وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : القبلة .[1] وعن الرضا

---

(١) الأسرة المسلمة السيد عدنان البكاء ص ٥٢ طبع دار الغدير بيروت .

(ع) قال للمأمون : «لا تجامع امرأة حتى تلاعبها ، وتكثر ملاعبتها وتغمز ثدييها»[1] .

وعن النبي (ص) : «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها»[2] . فالنبي (ص) يشير بصراحة في هذا الحديث إلى ضرورة المصارحة بين الزوجين ، أثناء ممارستهم العملية الجنسية ليستمتع كل منهما بصاحبه ، حتى لا يكون الاستمتاع لأحدهما على حساب الآخر إذ أنّه فائدة مشتركة بين الزوجين .

ب – وأما إذا كان قصدهم بإباحة الجنس مراعاة الرجل من أجل إشباع رغبته ، ومن أجل أن تكون المرأة في متناول يده قريبة منه غير بعيدة ، ليستمتع بها متى شاء . فهذا معناه أن المرأة في نظر أصحاب تلك الإتجاهات والمذاهب الإجتماعية ليست إلا وسيلة لتفريغ الطاقات المنوية المخزونة عند الرجل ، ولعبة لطيفة بيده للترفيه عنه .

وهذا ما لا يرتضيه الإسلام لها بل لهما معاً ، حيث انه اهتم لهما بإشباع هذه الناحية بما شرع من أحكام ، فأعطى الحق للمرأة ، مع البذل بأن تطلب الطلاق من الزوج الذي لا يحقق لها إشباع رغبتها وهي كارهة للبقاء تحت زوجيته ، لعدم إشباع رغبتها ولخوفها من الوقوع في الحرام[3] . وأعطى الحق للرجل بأن يتزوج ثانية وثالثة ورابعة مع العدالة بينهن ، إن لم يتوفر له إشباع رغبته بواحدة أو باثنين أو بثلاثة في الحالات النادرة .

ج – واما أن يكون قصدهم التحرر الجنسي كما يدعون أو كما يسمونه ، فهذا معناه الانفلات السلوكي الذي يأباه من له أقل قدر من الحياء والذوق السليم ، أو من له شيء من الأخلاق على الأقل . فلو قيل إن هذا الكلام

(١) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٣ .

(٣) منهاج الصالحين ج ٢ ط ١٠ ص ٢٣٦ الإمام الراحل السيد الحكيم قدس سره .

ينسجم واتجاهك الديني الذي التزمت به ، وأما أصحاب المذاهب الاجتماعية الذين عنيتهم فلا يرون قبحاً أو خروجاً على الأخلاق والذوق بما انتهجوا من طريق لهم وما أباحوا لأتباع مذاهبهم .

نقول : هذا كلام صحيح بالنسبة إلى ما يرونه هم ، وأما بالنسبة إلى الخط الفطري الإنساني السليم ، الذي لم تلوثه الانحرافات فلا ، إذ ينبغي أن نتصور الأمر مع تعدد المذاهب الاجتماعية ، فانه لو اختلفت الأذواق والاتجاهات ، وهذا ما هو حاصل فعلاً ، فإن النتيجة التي ينتهي عندها التجوال هي تصادم أصحاب هذه المذاهب في مسيرتهم البشرية ، فتكون القضية أشبه بمجموعة من ملايين السيارات تنطلق في شوارع متعددة متقاطعة باتجاهات مختلفة ومتعاكسة ، دونما تنظيم أو إشارات مرور ، وهذا معناه الفوضى واللامعقولية في السير ، لما يترتب عليها من حوادث وضحايا وإزهاق للأرواح وتشويه للأجسام وتفريط في النظم والأموال .

فكذلك اختلاف المذاهب الاجتماعية في اتجاهاتها المذكورة ، يكون عاملاً رئيساً في تدمير صرح الإنسانية ، وهدم كيانها الشامخ . فما يراه أصحاب مذهب من هذه المذاهب سعادة لهم في الحياة ، هو في حقيقته شقاء لأصحاب المذاهب الأخرى .

ولقطع دابر هذه الفوضى وحفظ السلالة البشرية من الضياع والهلاك والانفلات ، شرع الله نظامه الخالد ، وألزم عباده به من أجل توحيد مسيرتهم البشرية في أخلاقها واتجاهها وذوقها فتقف عند مقياس واحد ، وتعمل وفق معيار موحد ؛ لتصل إلى غاية واحدة وتنتهي عند هدف واحد . وهذا هو الخط المعقول الذي اعتمده الإسلام في سيره السليم ونهجه المستقيم .

وبعد النصوص التي استعرضناها ، والمناقشة الموجزة التي قدمناها ، نتبين بوضوح مدى خطورة المدنية الغربية ، إذا ما كانت سبيلاً للتقهقر والشقاء ، وكان

الناس مهيئين للتأثر بها والانجراف بتيارها . فما علينا إذن إلا أن نتبين طريقنا بين مسارب الحياة المتعددة ، ونفهم رسالتنا ، لنؤدي وظيفتنا بأمان ، ونعرف قيمتنا كمسلمين ، ومكانتنا بين الشعوب كأمّة .

وعلى ضوء ذلك كله نضع مقياسنا الصحيح للحياة ، ونبدأ عملنا بشكل مضبوط .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .... ﴾[1]

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٥ .

قساوة الأزواج

ان الأزواج الذين يتصورون القسوة على المرأة والغلظة في معاملتها ، والجفاف معها في العلاقة الزوجية هي الرجولة وهي الشهامة ، إنما يتصورون ذلك لعدم تفهمهم مكانة المرأة ، وعدم التفكير في فسح المجال لها ، لتقوم بإداء واجبها في حدود ما تقتضية طبيعة التنظيم الإنساني ، وفق سنة الله والفطرة التي فطر الناس عليها ، كما وان هؤلاء بعدما ابتعد المجتمع الذي يلفهم باطاره عن العقيدة الإسلامية ؛ خلت أذهانهم من معرفة الأحكام الشرعية التي جعلها الله تعالى لتنظيم العلاقات في الحقلين الفردي والجماعي ، لذلك لم يتسن لهم تحديد سلوكهم وتصرفهم وتنظيم علاقاتهم وفق مخطط السماء الذي تكفله الإسلام الحنيف .

فراحوا يتخبطون خبط عشواء ، وعلى غير هدى ، لم يتبينوا الطريق ، فتساوى لديهم الخطأ والصواب .

كسكارى وما هم بسكارى لكن الجهل قد أضاع هداها
ضلت الدرب خبطها وهي ثكلى خبط عشواء أين من يرعاها[1]

واصطبغت علاقاتهم الاجتماعية بالصبغة المادية ، ولم يكن لهم من هم إلا إشباع الشهوات ، والاستجابة إلى المشتهيات النفسية دونما رادع أو منظم . فتصوروا أن المرأة خلقت وعاءً لافراغ الطاقات المنوية عند الرجال ليس إلاّ . فأخطأوا الهدف وانحرفوا عن الصواب .

---

(١) للمؤلف من قصيدة مطلعها :

ذاب قلبي من الجوى في هواها وعرفت الحياة من معناها

وحتى أولئك الذين ينادون بتحريرها ويتباكون عليها ، فإنهم لا يريدون لها إلا إخراجها من مركزها الإجتماعي الطبيعي ، الذي ضمن لها شرفها وحفظ أنوثتها ، والذي حال دون تنفيذ مخططاتهم التي حاولوا بها أن يجعلوا من المرأة متعة قريبة غير بعيدة ، جاهزة لا يحتاجون إلى تفتيش عنها .

كلمة لابدّ منها

إن الذي يعيش المحنة التي اصطلى بنارها المجتمع الإسلامي ، يجد أن المسلمين قد تأثّروا بأعدائهم إلى أبعد الحدود ، فتغيرت نتيجة لذلك التأثر المفاجئ نظرتهم إلى الحياة ، من نظرة إسلامية مستقيمة إلى جاهلية كافرة منحرفة ، ولقد كان نصيب المرأة المسلمة من هذه المحنة أسوأ من نصيب أخيها الرجل ، حيث أصبحت تباع كما كانت عليها حالتها أيام الجاهلية قبل الإسلام ولكن بشكل آخر . فهي تكابد وتتحمل كل ما نتج عن ذلك التأثر من ظلم وقسوة وتعسف .

أجل ، ولعل المتتبع لحياة المرأة المعاصرة سواء في الريف أم في المدينة ، يقف على كل ما أوقعه المجتمع من ظلم على المرأة .

ونحن إذا ما استعرضنا حياة المرأة في الريف ، نجد أن الناس في حياتهم القبلية التقليدية يستعيدون الأعراف والعادات الجاهلية التي عاشتها المرأة من قبل ، حيث ينظرون إليها نظرة سخرية واحتقار ، ويعتبرونها متاع حياة ليس إلاّ . تبيعه للرجل بكل ما للتبعية من معنى . فهو يتحكم بحريتها وتصرفاتها وحقوقها . إن شاء أعطاها وإن شاء منعها ، كأنها لم تخلق في هذه الحياة . إلا لتكون أسيرة أوامره وآرائه .

فالمرأة في الريف معرضة للتعذيب والتعسف ، وللظلم والاستعباد من قبل ذويها أو من تقع تحت رعايتهم .

تولد وليس لها أي نصيب من الاحترام ، على نحو ما كانت عليه في عصور الجاهلية ، إذ أننا نجد الرجل في الريف إذا بشر بالأنثى استهزأ بحمل زوجته ، وبسوء نصيبه منها .

أما الأم المسكينة فإنها تلاقي ويا لهول ما تلاقي من نساء حيّها ، الكثير من التأسف على اتعابها التي أضاعتها ، ويندبن سوء طالعها لأنها أولدت بنتاً تعيش عالة على أهلها . وكأنها قد اقترفت جريمة كان لها الاختيار في وقوعها .

وهكذا تلاقي أمثال هذه المقابلات التي تحز في نفسها ، وتقتل طموحاتها وآمالها . ولكنها قد تقابل من يخفف عنها بعض ذلك من زميلات وقريبات ، فتجد متنفساً عن العزاء الذي ما كانت تنتظره لولا سوء الطالع .

وتنعكس كل هذه النظرة على الوليدة المسكينة ، على نشأتها وحياتها ، فتعيش عيشة السخرية والاحتقار من قبل أبويها واخوتها وأسرتها .

وهكذا تعيش وهي تعاني القسوة والسخط في بيتها حتى تبلغ مرحلة الحياة التي تقارب فيها سن الأمومة ، السن الذي يجعل منها امرأة صالحة للزواج والانجاب . ثم تجد في نفسها الرغبة للزواج لتكون ربة بيت ، علّها تستقل عن تلك الأسرة التي ظلمتها ردحاً من الزمن . وتبتعد عن تلك الحياة القاسية ، لتعيش بقية حياتها في حالة قد تخف فيها تلك القسوة نسبيّاً ، ولعلها تلاقي بعد ذلك إنساناً يحنو عليها ويعطف ، فيعطيها بعض ما لها من حقوق ، ويرد عليها شيئاً من كرامتها وعزتها . ولكن الأهل يمانعون في تزويجها ممن يطلب يدها ، والممانعة هذه وليدة عوامل متعددة .

منها : أن أهلها يمتنعون عن تزويجها طلباً للتعويض من أتعابها ومجهوداتها عمّا بذلوا عليها ، ولتشاركهم في الكسب . لذلك نجد المرأة الريفية خصوصاً غير المتزوجة ، تزاول نفس الأعمال التي يزاولها الرجل ، سواء أكان رب البيت أبوها أم أخوها أم عمها أو غيرهم ، فهم لا يراعون بذلك قابلياتها الجسدية وما تعتريها من حالات طارئة كالطمث وغيره . فإذا تأخرت عن اداء واجبها ، واعتذرت عن القيام به لسبب من الأسباب لها مبررها فيه . كان نصيبها الضرب والإهانة ، وبالتالي لم تجد المسكينة رغم ما تعانيه بداً من الاستجابة إلى كل ما يفرض عليها ، من زراعة أو حرث أو نقل أثقال أو سقي أو أي عمل آخر لا يتناسب وتكوينها

العضوي ولم تخلق له ، وإنما هو من واجبات الرجل .

وقد يكون العامل الذي يمنع الأهل عن تزويجها ، هو التمايز في الأنساب الذي كان يتمسك به الناس في جاهليتهم ، فيرون انتسابهم إلى قبيلة أو أسرة أو عائلة معينة ، أو اعتبارهم من طبقة اجتماعية خاصة ، لا يجعل الخاطب في مقياسهم كفواً لئن يتزوج منهم .

ولهذه الأسباب وغيرها يمتنعون عن تزويجها ممن يخطبونها . بينما ألغى الإسلام كل ذلك في الحدود التي يتعارض فيها مع التشريع الإسلامي : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[1]. فجعل الإسلام الإيمان مقياساً في التكافؤ بين الزوجين « المؤمن كفوء المؤمنة » فهو المقياس الأساسي في تكوين العائلة الصحيحة وبناء الكيان الإجتماعي الصالح . وجعل ميزان التفاضل في العلم والجهاد والتقوى .

وقد يكون العامل الذي يمنع الأهل عن تزويج ابنتهم ممن يخطبها ، هو الطمع في الإستيلاء على مالها من أموال وحقوق ، فلا يزوجونها ممن يرغب بها لهذا الغرض .

فكم من رجل منع ابنة أخيه من الزواج لئلا تستقل بميراثها من أبيها طمعاً في بقائه تحت تصرفه . ولنا من حياة الريف أدلة كثيرة على ذلك نستفيدها من المواضيع القادمة .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

المخادعة في المساواة

أما المساواة التي ينادى بها ، والتي شغلت الناس كثيرا ، إن كان المقصود بها المساواة في الحقوق رغم تفاوت الناس في واجباتهم وكفاءآتهم وأعمالهم ، فهي ليست بعدل ، وإنما هي الظلم كل الظلم للراجح والمرجوح .

فالمرجوح يضيره ويضير الناس أن يأخذ أكثر من حقِّه وينال فوق ما يقدر له . والذي يضير الراجح أن نقصان حقه يغل من قدرته ، ويضير الناس معه ، لأنهم يحرمون تلك القدرة ، وبالتالي يقعدون عن الاجتهاد في طلب المزيد من الواجبات ؛ نتيجة لما يشعرون به من بخس الحقوق .

لذلك بذل المشرعون الوضعيون المحدثون قصارى جهدهم في تصحيح عيب المساواة المطلقة ، بما يزعمون من أن المساواة في الفرصة ، وهو إصلاح لا بد منه في تقدير العدالة الاجتماعية ، عند معرفة الفرصة واحتمال الاختلاف فيها حسب اختلاف الأفراد والأحوال .

ولكن الاحتياط بمساواة الفرصة عبث عند اختلاف الجنسين ، واختلاف وظائفهما بحكم الفطرة ونتائجها في العلاقات الاجتماعية . فليست هناك فرصة تنتظرها المرأة تبدل من وظائفها ، ومن نتائج هذه الوظيفة في واجباتها الفطرية والاجتماعية ، وليست هناك فرصة تسوّي بين الرجل والمرأة ، حيث لا مساواة بينهما في التركيب ، لا في تركيب البنية ولا في خصائص التركيب .

فليس من العدل والمصلحة إذاً أن يتساوى الرجال والنساء في جميع الاعتبارات مع التفاوت بينهم في أهم الخصائص التي تناط بها الحقوق والواجبات .

رسالة مفتوحة

كنت في فترة خلال عام ١٩٦١ أباشر مهمة التوجيه والإرشاد في منطقة من مناطق العراق ، تحتضن تلك المنطقة مجموعة من الأرياف ، وكانت مكبرات الصوت تنقل صوتي إلى كافة أجواء المنطقة وضواحيها ، خصوصاً عند الليل .

وقد تناولت مواضيع متعددة ، شرحت فيها بعض الحلول والمعالجات الإسلامية ، للمشاكل الإجتماعية وغيرها في كافة جوانب الحياة . وفي صبيحة يوم من تلك الفترة ، وصلتني رسالة مطولة ، من بعض فتيات المنطقة آلمتني كثيراً لما وصفن فيها من معاملة سيئة ، وقساوة وحشية يعانينها من أولياء أمورهن ، خصوصاً منهنَّ من فقدن آباءهن ، وبقين تحت رحمة أعمامهن .

ومن جملة ما أوردنه في الرسالة ، أنهن فتيات مسلمات لهن قيمتهن الاجتماعية ، ومن عوائل محترمة ، وقد عشن المحن والهزَّات الاجتماعية ، فوقفن إلى جانب إسلامهن بكل صمود ، وقد مضت من حياتهن مدة أصبحن فيها صالحات للزواج ، وإن الكثير من الناس يطلبون الزواج منهن ، ولكن أعمامهن يرفضون ذلك وقد شرحن العوامل التي جعلت أعمامهن يمتنعون عن تزويجهن من طالبي الزواج ، وهي لا تتجاوز العوامل التي ذكرت في موضوع «كلمة لا بد منها» . وذكرن في الرسالة أن لهؤلاء الأعمام أولاد يدرسون في جامعات الغرب ، مستهترون لا خلق لهم ولا دين ، وقد اطّلعن بأنفسهن على مدى استهتار أولاد عمومتهن ، من خلال الرسائل التي يبعثونها والمرفقة بصور خليعة لفتيات أجنبيات . مضافاً إلى ذلك أنهم يحملون أفكاراً مناهضة لعقيدتهن ، ومع ذلك فقد قرر الأعمام تزويجهن من

أولادهم رغم إظهار عدم رغبتهن بهم ، وعدم رغبتهم بهن ، ولانشغالهم بالمجون وتدافعهم في أحضان الغربيات العاديات .

وبعثت الرسالة في حينه إلى مجلة الأضواء الإسلامية النجفية ، فأجابت عليها الأخت المجاهدة بنت الهدى في عدد من أعداد السنة الثالثة[1] وتحت عنوان (المغالات في المهور) قائلة : «أنا أريدُكِ معي في هذا اللقاء لنعالج معاً نقطةً حساسةً في حياتنا نحن المسلمات ، تمس كرامتنا وعزتنا بالصميم وتجعل من فتيات الإسلام سلعة رخيصة كالإماء في سوق الرقيق ، فأنا أريد أن أتحدث وإياك عن المهر والصداق ، بعد أن أصبح الغلو فيه موضة ومظهراً من مظاهر البذخ والدلال والاعتزاز بالفتاة ، ولكن متى أصبحت الفتاة سلعة يساوم عليها ، وأي ضمير إنساني يسمح أن تكون للفتاة قيمة معينة قد تزيد وقد تنقص وهي المخلوقة الطاهرة التي جاءت لتنشئ أجيالاً وأجيالا . وأنا إذ أكتب هذا إنما أكتبه للآباء أولاً وبالذات فهم وحدهم المسؤولون عمّا وصلت إليه بناتهم من حيث يشعرون ولا يشعرون ، فهم في الوقت الذي يريدون فيه أن يرتفعوا ببناتهم ينزلوهن إلى مصاف الإماء جاهلين أو متجاهلين جميع الأضرار الاجتماعية التي تنتج عن غلاء المهور في عصر كعصرنا يظنون أن البنت مهما غلت بنفسها غلت بمهرها في الوقت الذي يعلمنا فيه الإسلام وواقع الحياة أن الفتاة مهما غلت بنفسها رخصت بمهرها ، وقبلت الزواج على أنه شركة روحية لا أكثر ولا أقل ، ولكن فتاتنا المسكينة لا تزال تحت بنايا الجاهلية فهي إما فتاة متحررة منطلقة من كل قيد وشرط ، وأما فتاة مسكينة لا لا حول لها ولا طول ولا تتمكن حتى من اثبات وجودها وإبداء رأيها في هذا المضمار ، فأنا لا أكاد أصدق بأن فتاة واحدة تقبل بكل عواطفها أن يحدد لها قيمة عند الزواج ، ولكن العرف الأعمى والتقاليد الظالمة التي انحرفت عن طريق إسلامنا وما جاء به من تعاليم . أو ليس لنا من رسول الله (ص) وابنته أسوة حسنة إن كنا مسلمين ...» ثم تضرب الأخت بنت الهدى مثلاً إسلامياً رائعاً في هذا

---

(١) مجلة الأضواء العدد الثالث السنة الثالثة ص ١٤٠ .

الحديث وهو زواج فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام من علي بن أبي طالب (ع) ابن عمّها حيث قبلته لها زوجاً ولها الفخر بذلك . وبذلك نستطيع أن نحمّل أعمام وآباء الفتيات اللواتي بعثن بالرسالة المسؤولية كاملة بما أوقعوا عليهن من ظلم ، ذلك باحتجازهن دونما رغبة منهن لأبناء عمومتهن الذين لا يتكافئون معهن لا بالدين ولا بالأخلاق ، ذلك الظلم الذي لا يقره عرف سليم ولا مجتمع نبيل ولا دين ولا الطريق المستقيم في حياة البشرية عبر مسيرتها التاريخية الطويلة .

صور من حياة المرأة في الريف

المرأة في الريف في الأعم الأغلب مسلوبة الاختيار مغصوبة الحقوق لا حول لها ولا قوة . فرب فتاة لها نصيب من الجمال ، ولها أولاد عم يرغب كل واحد منهم الزواج منها . فتؤدي الرغبة هذه إلى نشوب صراع بينهم قد يذهب بعضهم ضحيته، وثمناً لذلك الاستبداد الذي لا مبرر له إلاّ الهمجية الرعناء ، والوحشية المستبدة .

هذا والفتاة لا تبدي أي معارضة ولا تطرح أي رأي ، وإنما تنتظر الغالب منهم ، وكأنها بطاقة يانصيب يسوقها الحظ إلى من تكون من نصيبه ، وربما يكون الغالب منهم أبغض الناس إلى نفسها . ولكن ماذا عسى أن تفعل وليس لها أي كلمة رفض أو قبول ، وإنما عليها الموافقة والرضا بالغالب مهما كان ، رضيت بذلك أم أبت .

فالمرأة في نظر الريفيين وغيرهم من الظالمين جزء من متاع الرجل ، وقسم من ممتلكاته ، فهو كما يمانع في زواجها ، له أن يفرض عليها الزواج من أي رجل شاء. وهذا شائع في الحياة الريفية . فلو أن رجلاً «على الطريقة المعتادة عند أهل الريف ، والتقاليد السائدة لديهم» أراد أن يخطب لنفسه امرأة ، فما عليه إلاّ أن يبعث جماعة من وجهاء القرية ، إلى دار وليّها أو ابن عمّها أو غيرهم . فإذا نزلوا عنده وحلّوا دار ضيافته ، فعليه أن يسارع إلى استقبالهم ويقدم لهم ما يلزم تقديمه على النحو المتعارف ، وبعد فترة من جلوسهم قد تطول وقد تقصر ، تبدأ المفاوضات الأولية حول الخطبة ثم التصريح بها ، وان المخطوبة لم يؤخذ رأيها في ذلك كله ، وربما تكون غير عالمة به حتى تباغت بنصيبها الذي أخفاه لها ظلم هؤلاء .

فإذا استطاع الخاطبون اقناع ولي أمرها ، فقد انتهى كل شيء وأخذت الخطبة صيغتها النهائية . وعندها لا تستطيع المخطوبة أن تقول أي شيء بهـذا الخصوص .

فإذا صدر منها ما يفهم منه الرفض أو عدم الرضا ، فليس لها من ولي أمرها الظالم إلا القتل ، فإن نجت منه ، فالضرب المبرح والتعذيب القاسي . وانا في كل ذلك لا احتاج إلى مصدر أرجع إليه من أجل التدليل على صحة ما أقول ؛ لأنني عشت حياة الريف فترة من الزمن وتحسست مشاكل الريفيين واطّلعت على الكثير من عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم .

وعليه فالذي أضعه بين يدي القارئ الكريم ، ليس إلا وثائق وحقائق وقفت واطّلعت عليها بنفسي .

وفي الحياة الريفية نجد ولي المرأة قد يعجبه أن يقدم المرأة التي تقع تحت رعايته زوجة إلى صديقه ، أو لإنسان آخر من قبيلته أو من قبيلة أخرى ، وقد يكون هذا الإعجاب وليد مصلحة يريد تحقيقها ، وقد يكون مجرد رغبة عارضة ليس إلا وتعرف هذه الطريقة بـ (الصفطة) .

فهو يهبها دونما مراعاة لشعورها أو تقدير لرغبتها واختيارها . ومن الغريب الشائع ، والذي أثبتته القوانين الوضعية العشائرية وعملت به ولا يزال معمولاً به . أنه إذا اقتتلت عشيرتان ، وكانت النتيجة قتل بعض الأفراد من جانب واحد أو من الجانبين ، فإن كل عشيرة ملزمة للعشيرة الأخرى بدفع ديات القتلى الذين قتلوا منها ، وغالباً ما تكون هذه الديات نساء تدفع إلى الطرف المقتول منه .

ويتولى ولي المقتول الزواج منها أو يتنازل عنها لأحد رجال أسرة القتيل ، وإلا تولى رئيس العشيرة تزويجها ممن يشاء من أفراد العشيرة ، وبدون أي صداق يذكر ، إلا بعض الملابس التي تصلح بها من شأنها ليلة الدخول .

ويؤتى بها إلى بيت زوجها بدون زفاف وبدون زغردة على الطريقة المألوفة . بل ربما إذا دخلت بيت أهل القتيل تفاجأ بالبكاء والصراخ ، حزناً منهم على قتيلهم

الذي كان تعويضهم عنه امرأة من الأسرة والعشيرة التي قتلته .

وعلى كل حال فإنها إذا خرجت من بيت أهلها إلى بيت زوجها الذي قد لا تعرف عنه شيئاً ، ولم تسمع حتى بإسمه من قبل ، فربما سعفها الحظ فتجد أمامها زوجاً حنوناً يمنحها شيئاً من الرعاية والعطف ، ولكن كل هذا متروك للمصادفة والاتفاق . وقد يخونها الحظ فتدخل بيت وحش انتقل من الغابة إلى القرية ، أو يكون حسب نظرية دارون قد تطوّر بالأمس القريب من قرد إلى إنسان ! ! ! ، لم يألف بعد الإنسان وحياته ، وإنما حياة الغاب لا تزال تسيّره وتشدّه إلى فصيلته ، وتدفعه طبيعة الافتراس إلى السلوك الوحشي وغريزة القسوة .

ومع هذا تجد المسكينة نفسها أن لا بد لها من أن تتحمل كل صنوف التعذيب والاضطهاد والحرمان ، والبؤس والشقاء والسخرية والامتهان والظلم والتعسف . ولا يجوز لها الرجوع إلى أهلها إلا بعد مرور سنة على زواجها ، وبقصد زيارتهم ، أو بعد أن تلد ، شريطة أن يبقى وليدها حيّاً وتحمله معها .

أما إذا اضطرتها قسوة الزوج إلى مغادرة بيتها ، فإنَّها إذا ذهبت إلى بيت أهلها تلاقي منهم أكثر مما لاقته من ظالمها الأول ، ثم يعيدونها إليه مكرهة كلما تكرر ذلك منها . وليس لها حق طلب الطلاق .

وقد جعلت هذه القسوة الكثيرات من الفتيات يركنَّ إلى الهروب ، — مع علمهن أن لا مفرَّ لهن من القتل — فراراً من قسوة من لا رحمة في قلوبهم ، وأنهن يفضلن القتل على البقاء تحت سيطرة تلك الوحوش الضارية ، ما زال هذا القتل مسبوقاً بأيّام أو سويعات يجدن فيها متنفساً عمّا لقينه من كبت وحرمان . فالمرأة إنسانة كغيرها من البشر تأبى حياة الذل والهوان ، فعاملوها وفق ما كلفكم الإسلام بمعاملتها وانصفوها أيها الناس . فإن فاتها أن تأخذ حقها منكم في الدنيا لقوتكم وقسوتكم وظلمكم بما طبقتم عليها من قوانين ظالمة فسوف تأخذه منكم في يوم تكون فيه أقوى منكم وتكونون فيه أضعف منها : ﴿**يوم ترونها تذهل كل**

مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد﴾[1].

(١) سورة الحج آية ٢ .

عتاب ونصيحة

لو تأملنا مظاهر الحياة في الشباب ، وفيما أودعته في الفتيات والفتيان من قوى للمقاومة ، ومن استعداد للتعاون على التكامل الإنساني في مجالات الحياة ؛ لوجدنا كيف يكمل كل منهم الآخر في ارتقاء سلم الحياة ، واستمرار الحياة الإجتماعية السليمة في مُثُلِها العليا ، وندرك أيضاً أن هناك حقيقة وهي من الأمور البديهية المسلَّمة ، ان البنت تدرك مرحلة النضج قبل الصبي ، وهذا كثيراً ما يلاحظه الناس ويتساءلون عنه باستغراب خصوصاً عندما يشاهدون الأخوات اللواتي يكبرن إخوانهن في السن ، وهن يعطفن عليهم عطف الأمهات على الأولاد . وكثيراً ما تكون الواحدة منهن كالمرشدة لأخيها تسدده وتنصحه وتشاركه في أمور حياته . وتبرز هذه الظاهرة في الأعم الأغلب في مرحلة المراهقة ودور البلوغ .

ومن الملاحظ أيضاً أن البنت تسرع في نموّها السنوي أكثر من الفتى ، فإذا فكرنا وتعقلنا السر الذي اقتضته طبيعتها ؛ وجدنا انها تسرع بنموها حسبما اتقنته مشيئة الصانع الحكيم ، لتحمي الشبان من الرعونة والطيش والجنون ، ولكن بماذا تحميهم ؟ لا شك أن حمايتهم لا تتحقق إلاَّ بأن يكون بعضهم لبعض أزواجا .

وأما الذين ينادون بتأخير الزواج ، ويلتزمون بما قدرته القوانين الحديثة من سن للزواج ، فإنهم لا يفكرون بما يترتب على هذا التأخير من ويلات .

لقد قرأنا قبل قليل كيف أن الأخت تحنو على أخيها حنو الأم على ولدها ، وما هذا إلا دليل على اكتمال النضج الأنثوي عندها وشعورها بقدرتها على الأمومة ، فإذا كان الأمر كذلك فلا بد من مشاركتها في التفكير لاختيار الزوج الذي

يناسبها ويكون كفوءً لها ، والإسراع في تفتح تلك الزهرة اليانعة وإشباع الحب الفطري لديها ، بإنسان يشاركها الحياة الإنسانية الأصيلة ؛ لتعطي البراعم حقَّها ، وتقدم بعد ذلك ما يترتب على اكتمالها من ثمرة ناضجة .

وبهذا تكون الفتاة قد خرجت من دور القلق والتنازع المشوش ، إلى دور تحقق الأنوثة الذي تجني فيه فتياتنا السلوك الحسن والاستقرار والحشمة ، وتترفع أبيَّةً في هذا المجتمع . وبهذا يعبر جسدها عن تطورها النفسي بتطور نضارة الشباب الناضج .

فالبنت أم بفطرتها ، وهي تفكر بل تحصر تفكيرها في بيتها الذي تنتظر الخروج إليه ، والذي تأمل أن تقترن فيه بالرجل الذي يشاركها معنى الحياة ومعنى الحب .

أما الشباب فهو في بداية الرشد نجده يفتش هنا وهناك عن فتاته التي تبادله الحب الصادق ، ولكنه لا يستغني عن مرشد يعلمه معنى الحب . فإذا لم يتعرف على حقيقته ؛ انحدر تحت أقدام الرذيلة يستهتر بعواطف الفتيات ، والفتيات – يغرهن الثناء –[1] ، ترتاح كل واحدة منهن إلى عبارات الثناء والإعجاب والمديح وتملق الفتيان .

ولكنها لا تدري بعد ذلك ستصبح ككرة تتقاذفها الأرجل ثم يتركها اللاّعبون معرضين عنها ساخرين منها عند التعب .

وإن ما تتعرضُ له الفتاة ، نفسه يتعرض له الفتى عند ما يستهتر بعواطف الفتيات . فإذا ما وجد يوماً فتاة تملك عليه عواطفه وحواسه ، وهي تشعر وتحس منه اللعب بعواطف الأخريات ، فإنها تثور في نفسها منه ومن غيره عاطفة النقمة من الرجال ، بعد أن قاست منهم الويل والأسى فتنتقم لنفسها منه ومن غيره . وذلك الانحراف عبقرية الجنس فيها ، وأخيراً يصرخ الشاب يا لفظاعة خيانة المرأة ،

(١) من بيت لشوقي أوله : خدعوها بقولهم حسناء والغواني ...

وتصرخ الفتاة يا لقساوة خيانة الرجل ، وهذه هي بعض النتائج المترتبة على عدم الأهتمام بتربية أبنائنا من فتيان وفتيات ، وعدم الاستجابة إلى رغبة الجنس بالزواج المبكر الشرعي .

لا تنتهــي الأنفس عــن غيِّهــا ما لم يكــن منهـا لهـا رادع[1]

---

(١) الحياة والشباب للبارودي .

التبعة على الوالدين

وتحدث البروفسور – هربرت نوتسن – العالم الاجتماعي المعروف ، عن ظاهرة تأخر الزواج والاختلاط بين الجنسين : إن هذه الحالة من المستحيل دوامها ، إننا نحن نقذف فلذات أكبادنا وأطفالنا إلى هذا الحضيض ونعرضها لمثل هذه المآسي والكوارث المفجعة .

وتكلم البروفسور – لوجين – أيضاً في هذه المأساة وألقى التبعة كلها على الوالدين .

ففي ألمانيا يمتنع حوالي ٨٠ ./ من الوالدين عن إرشاد أولادهم بنين وبنات ، إلى الأمور الجنسية ويتقاعسون عن تبصيرهم وتحذيرهم من النتائج الوبيلة الناجمة من انحرافهم في التيار الجنسي ، ومطاوعتهم النزعات غير الأخلاقية والشريرة والمنافية لكل شريعة وقانون . وقال : ان هناك عشرات الألوف من الفتيان والفتيات يذهبون في كل سنة ضحية باردة للجرائم الجنسية . أقول : لما كانت الشعوب الغربية رغم تقدمها الثقافي ، ورقيّها المدني لم تسلم من الوقوع في المفاسد الاجتماعية الفتاكة ، فجدير بنا ونحن نملك أضخم ثروة فكرية صحيحة ، وأروع حضارة إنسانية أصيلة ، أن لا نرتمي في أحضانها ، ولا نخدع ببهرجة حياتها الخليعة التي غزتنا بين عشية وضحاها . نعم جدير بنا أن نسلك طريق رسول الإنسانية محمد (ص) الذي رسمه لنا في الحياة ، وأن نتربى تربية إسلامية ، حصيلتها السلوك الصحيح والخلق القويم ونتاجها المجتمع الصالح والحياة الحرّة الكريمة .

الانحراف والتجربة التقليدية

وبعد أن انحرف البعض من المسلمين عن الطريقة المثلى في الزواج التي قررها دين الله الذي اختاره لعباده – الإسلام – منذ أربعة عشر قرناً تقريباً ، وكان انحرافهم ذلك لجهلهم بأحكام الإسلام وإبتعادهم عن تعاليمه ، أخذوا يتمسكون بتقاليد وأعراف لا صلة لها بشريعته السمحاء ، ظناً منهم أن تطور الحياة حسن في كل مجالاته ، ولا بد من التخلي عن كل قديم لقدمه وإن كان صواباً ، والتمسك بكل جديد لجدته وإن كان خطأ ، لأنهم اعتادوا طريقة التقليد .

ومن هنا بدأ الانحراف في سلوكهم وتصرفهم وتنظيم حياتهم الإجتماعية ، فشمل كل مظاهرها ، وتغيرت نتيجة لذلك طريقة الزواج بطريقة أخرى ، برمجها أعداء الإسلام وأعداء المسلمين وأحكموا تصميمها .

غير أن المسلمين لجهلهم بشرع الإسلام الحنيف ونظامه الخالد ، فاتهم فهم ان كل ما ليس من الإسلام فهو من الجاهلية . لقوله تعالى : ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾[1] .

فمن الأعراف الشائعة التي غزت بعض البلاد الإسلامية في طريقة الزواج ، الاتصال بين الخطيبين قبل العقد والزفاف . إن تلك العادة التي أوشكت أن تكون محكّمة في كثير من مناطق البلاد الإسلامية . التزمها الناس بعد أن تخبطوا في حياتهم الإجتماعية ، وفشل الأزواج في اختيار الزوجات ، وتحصيل الزواج الناجح ؛ لأنهم أضاعوا الطريقة المثلى – الزواج في الإسلام – طريقة الاتصال

---

(١) سورة المائدة آية ٥ .

بعد العقد الشرعي . إنهم قلدوا أعداءهم نتيجة انخفاض الجانب الروحي في نفوسهم ، فانقادوا لشهواتهم وخضعوا لرغباتهم ، وتجردوا عن تقاليدهم وأعرافهم الدينية والاجتماعية ، متعامين عمَّا تجره عليهم تلك الأعراف والتقاليد الأجنبيَّة من ويلات .

وقد دلت الإحصاءآت والحوادث الجارية ، على أن نجاح المرأة في الاختبار الجنسي الذي يجريه الرجل معها قبل الزواج ، ليس بذي قيمة ، مع غض النظر عن كونه مخالفاً للإسلام ، إن لم يكن مقترناً بعقد شرعي ، وذلك لأن الزواج لا يقوم على الناحية الجنسية فقط ، وإنما يجب أن يكون قائماً على أساس من التوافق بين الزوجين من الناحيتين العقلية والروحية ، إذ أن الناحية الجنسيَّة تصبح بعد فترة من الاتصال بين الزوجين ، شيئاً آلياً مملاً ويصبح الزوجان بعدها بحاجة ماسة لامتزاج أسمى وتزاوج أرقى ، لتحقيق الانسجام الدائم بينهما من الناحية الروحية .

ان الذين أباحوا التجربة الجنسية ، لم يحددوا بكل أسف موقف المرأة التي تفشل بتجربتها حيال من تختاره من الرجال ، فهل تدخل في تجربة مع رجل ثانٍ إن فشلت مع الأول ؟، ومع ثالث إن فشلت مع الثاني ، حتى تعثر على زوجها المطلوب ، وهل ان عملها هذا لا تترتب عليه أضرار تقع عليها وعلى المجتمع ؟ وبماذا نسميها بعد هذه التجارب ومع هذه الحالة ثيباً أم بكراً ؟، أم ننتظر منها أن تنجب أطفالاً غير شرعيين عبر مسرح التجربة وعملية الاختبار ؟ .

ولا أدري كيف يكون موقف هذه المسكينة المجربة من الناحية النفسية بعد زواجها ؟ هل تبقى مشدودة بذكرياتها الأولى إلى رجالها الأوائل الذين مرت معهم بالتجربة ، فتستمر معهم بما سلكته من طريق التجربة أم ستخلص لزوجها الأخير ؟ . ولتوضيح هذه النقطة بالذات ، لقد ذكر علماء النفس أن التجربة التي يمر بها الإنسان تحفر في ذاكرته مجرى يتعمق تدريجياً بتكرر التجربة ، حتى يصبح عادة لا مفر منها .

إذن فهل الزوجة ذات التجارب تكون قادرة على الاقتصار على مجرب واحد؟، وبعد هذا فلا بد لكل زوج يريد المحافظة على مثل هذه الزوجة ، أن يقوم بحراستها؛ لئلا تخرج بها عادتها التجريبية عن الصراط السوي . وان هذه الحراسة من جانب الرجل أمر متعذر في ظروفنا الراهنة ، التي أباحت للمرأة التنقل في المنتديات والمراقص والسينمات ، إذ لا سلطان للرجل عليها تحقيقاً لحريتها .

وبعد هذا إذا كان العرف العقلأبي والدين يحرمان زواج التجربة ، فهل يليق بأمة دينها الإسلام ، أن تلتزم بطريقة هدَّامة ، لا يحفظ معها نسل شرعي ولا جو اجتماعي نزيه ، ولا قيم ولا أخلاق . قال : كرتشن ملـــر في كتـــاب – فسيولوجية الجنس – لمؤلفه – كينت ووكر – أن الرجل أو المرأة التي تزوجت مرَّة ، لا تحصل من الجماع في الزواج الثاني على ما كانت تتوقعه لو لم تكن لها تجربة سابقة ، حتى ولو كان الزواج الأول فاشلاً والثاني ناجحاً ، فإنه يعتقد ان الزواج الثاني تنقص قيمته من تأثير ما حدث قبله . وإذا كان العكس هو الحاصل ، أي أن الزواج الأول كان ناجحاً من الناحية الجنسية ، والثاني فاشلاً ، فإن الشعور بالخيبة المتناهية والبرود سوف يتضاعفان على الشريك الذي كان ذلك من حظه التعس .

ومعنى ذلك أن زواج التجربة الذي أبيح لاكتشاف التوافق الجنسي ، يقتضي ثمناً باهظاً تدفعه المرأة ، ومن هنا نتبين حكمة الشرع الإسلامي في تحديد الطلاق لمنع دخول كل من الرجل والمرأة في تجربة جديدة ، نتيجة التأثر بتجربة أولى تعكر مزاج كل من الزوجين بقية حياتهما .

أما لو افترضنا أن اللقاء بين الرجل والمرأة قبل الزواج يكون بعيداً عن التجربة مقصوراً على المداعبات والقبل . فإن كينت ووكر يقول : ان التهيج الجنسي المستمر لدى الخطيبين بدون إشباع ، قد يُنتج توتراً في الأعصاب ونشوزاً جنسيّاً عندهما . ويسمي هذه الظاهرة العالم الجنسي الأمريكي – أرنست جروفز – بظاهرة التعبير الجنسي التافه ويقول : ان الفتاة قد تتعود عليها وتستعيض بها عن الجماع

الاعتيادي حتى بعد الزواج ، والتأثير على الشاب خطير أيضاً ؛ فقد يصاب بالقذف السريع وهي حالة متعبة .

ويحذر المؤلف ووكر من تطويل مدة الخطوبة ومن تهييج الأعصاب لدى الجنسين في الحياة الحديثة .

ان التوافق بين الجنسين من ناحية جنسيَّة مما لا شك فيه ، انه من الأمور الأساسية في الزواج ، ولكن أي توافق هذا ؟ الذي ينشدونه . انهم ويا للأسف الشديد يهتمون بالتوافق الحيواني التافه ، الذي يرضي أدنى الشهوات وقد فات هؤلاء الذين اختبروا الجسد انهم لم يختبروا الروح والعقل .

فلو حصل التوافق بين الخطيبين في الجنس ولكنهما يختلفان في الجوانب الأخرى كالأخلاق والعقل والمعرفة وغيرها ، فما هي قيمة التوافق الجنسي في مقياسهم ؟. فهل ان التوافق الجنسي هو المطلوب دون غيره ؟، وعند تحققه تعتبر التجربة ناجحة والزواج المبني عليها انتصاراً انسانياً منقطع النظير ، أم لا بد من توافر التوافق في الجوانب الأخرى التي ذكرت في المقام ، ولا تكون تجربة الاختبار الجنسي ناجحة بدونها . نعم لقد اختبروا الجسد وأغفلوا الروح والعقل ، ولكن الإسلام تنبه إلى كافة تلك الاعتبارات منذ فجره التشريعي ولم يفته شيء منها . فخير تجربة لنجاح الزواج هي تجربة الإسلام التي حققت أروع سعادة في عالم الحياة الزوجية عبر تاريخ الإنسانية الطويل .

من مشاكل الانحراف

وان الأنكى من ذلك والأمر ، هو ما يضمره روّاد تحرير المرأة من إذلال لها واحتقار ، حيث أخضعوها إلى ما يتنافى والشهامة الإنسانية ، إذ قد استعملوها في ميدان التجسس ببذل عفافها وابتذال كرامتها ، والتنازل عن مكانتها الاجتماعية الشريفة ثمناً لذلك . ولأدانة أولئك المتهلوسين أضع بين يدي القارئ الكريم هذه الوثيقة التاريخية .:

« تمخضت العبقرية السياسية في القرن العشرين عن تطويع المرأة كجسد غض مثير ، للأغراض السياسية والجاسوسية ، وتحويلها إلى أداة طيعة لخدمة الجاسوسية العالمية .

وهذا كل ما تكنه الذهنية التقدمية من تقدير واحترام لجنس الأنثى . ولا تزال الصحف والناس يرددون أصداء فضيحة وزير الحربية البريطانية مع « كريستن كيلر » البغية المعروفة . حيث تمكن الإتحاد السوفياتي من استدراج وزير الحربية البريطانية إلى الكشف عن الأسرار الحربية الإنجليزية عن طريق – كيلر– بكل بساطة . وهذه هي القيمة الواقعية التي تضيفها حضارة التحلل عن شخصية المرأة الإنسانية .

فلا يتاح لهذه الحضارة تطويع المرأة للأغراض الجاسوسية والسياسية ، لو كانت تحافظ على كرامتها كإنسانة وعلى شخصيتها كأم وزوجة .

وكان رمز هذا التقدير لشخصية المرأة أن تلقت – كيلر – عرضاً من بعض دور النشر ، بشراء مذكراتها عن الفضيحة السياسية التي خاضتها بمبلغ (٨٥) خمسة وثمانين ألف دولار أي بما يقارب(٣٤)أربعة وثلاثين ألف دينار .

وتلقَّت عروضاً أسخى من ذلك ، من المخرجين السينمائيين بتمثيل الدور الجنسي – السياسي – الذي قامت به ببراعة[1] .

أما في ميدان التآمر عليها وحرمانها من حقوقها الطبيعية ، وإقصائها عن مكانتها في المجتمع الإنساني ، وابعادها عن مستقرها ومحور نشاطها «عشها السعيد» بيت الزوجية الذي تركن إليه مع شريك حياتها ، ليسندها ويحميها ، والذي تنطلق منه إلى بناء مجتمعها السعيد بمشاركة الرجل ، من أجل تنسيق مسيرته وديمومته .

أجل : من أجل إقصائها عن كل ذلك فقدهيأت بعض المدارس الأدبية الحديثة ، كتَّاباً نفخت فيهم من روحها ، وصاغت ذهنيَّاتهم صياغة تتمشى وروح الابتذال والتحلل ، من أجل أن يكتبوا لشيوع الرذيلة وانتشار الفحشاء ، ومن هؤلاء : جورج ساندي ، أحد أقطاب المدرسة الرومانتيكية في الأدب فإنه يقول : كلما استزيد النظر في هذه الدنيا وأتقدم في تجاربها استشعر بمدى الخطأ البعيد في أفكار شبيبتنا . فما أخطأ الفكرة القائلة يا صديقي بأن الحب يجب أن يكون مقصوراً على حبيب واحد . ثم يكون ذلك الحب المحدود متولِّياً القلب نافذاً منه إلى الصميم . ويجب أن يكون أبدياً سرمديَّاً .

ولم أبدل رأيي ولم أصالح المجتمع ، وان النكاح في رأيـي لأقطع الطرق الاجتماعية وأكثر همجية . وان كتب للجيل الإنساني أن يتقدم حقاً في طريق العقل والعدل ، فليأتينَّ حين من الدهر يلغي النكاح ويستبدل به طريقة أخرى لا تقل عنه قداسة وطهراً ، ثم تكون أدنى إلى التهذيب والإنسانية ، حينئذٍ سيتألف الجيل الإنساني من رجال ونساء ، متسامحين لن يتجرأ أحد منهم على حرية الآخر[2] .

الا ترى أيها القارئ الكريم رأي الكاتب الرومانتيكي الذي يعرضه على الشبيبة ، وهو يرى بأن النكاح الذي اختاره الله طريقة صالحة لاستمرار النسل

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم للآصفي .

(٢) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم .

البشري ، وتكوين المجتمع الصالح ، أقطع الطرق الاجتماعية وأكثرها همجية ، وهذا إن صح التعبير عنه هو الجهل المركب بعينه . إذاً فلا بد للكاتب الكبير أن يفرض من نفسه المعصوم المسدد أو الإله الكامل ثم يقدم رأيه المقترح .

أما العالم الاقتصادي الإنجليزي (مالتوس) يقول : إن نسبة تزايد السكان في العالم لا تلائم نسبة تزايد الغذاء في الطبيعة ، ولذلك فلو مضت البشرية في التناسل والتوالد على هذا الغرار ، فسوف يقضي عليهم الجوع في وقت قريب . ولكي نؤمن هذا الخوف يجب أن نحتاط كثيراً في الزواج ، وان لا يقدم الإنسان على الزواج إلا في سن متأخر . وحاجات الشباب الجنسية تقضى عن طريق البغاء، ثم تمنع نتيجتها – أي الحمل – بالوسائل الطبيَّة الحديثة »[1] .

وهكذا نجد مجتمعنا يقلد المجتمعات الغربية في قضية الزواج ، اعتماداً على وسائل الترفيه الجنسي الأخرى ، ظناً منهم ولسوء فهمهم ، ان الزواج ليس إلاَّ علاقة جنسية ، جاهلين أو متجاهلين أهمية الزواج في بناء صرح المجتمع الصالح . ولقد تأثروا بالمقياس المادي حتى أصبحوا أو كأن ما يقوله (مالتوس) هو القول الفصل والصحيح . أمَّا ما قدمه الله تعالى من ضمانات في المجال الاقتصادي ، لم تكن شيئاً مذكوراً ولا قيمة لها في مقياسهم ، فأساءوا الظن بخالقهم ورازقهم . وقد كان الجدير بهم أن يفهموا بأن الزواج المبكر هو الطريق الصحيح لمعالجة الحاجة الجنسية من جهة ، ولسد منافذ الفساد وإشاعة الرذيلة من جهة أخرى ، ولصيانة الإنسانية من التحلل الخلقي من جهة ثالثة ، ولتوزيع المسؤوليات والالتزام بأداء واجب ديمومة المسيرة البشرية عن طريق التناسل الشرعي وغير ذلك من جهة رابعة .

وأما رزقهم فقد تعهده الله تعالى حيث قال : ﴿**وانكحوا الأيامى منكم**

---

(١) المصدر نفسه .

والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله سميع عليم﴾[1].

ولكن الضمان الذي تعهده الله تعالى لعباده في مجال الرزق ، موقوف على ما يقدم البشر من جهد في مجال الكسب : **﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**[2]. فالطبيعة فيها كل الاستعداد لتقديم ما يكفي البشرية من غذاء ، شريطة أن يستثمر البشر الطبيعة استثماراً صحيحاً .

أما الأزمة الاقتصادية التي يتوهمها – مالتوس – لا يمكن أن تحصل إلا بسبب تقصير الناس أنفسهم وظلمهم بعضهم بعضا . وجدير بعالم متخصص مثله ، أن يدرس المشكلة بكل أبعادها ثم يضع الحل الكامل لها لا أن يضع حلاً مبتوراً تترتب عليه مضاعفات ومشاكل أخرى .

أما تخوف الناس من كثرة النسل ، وتصورهم أنهم سيصبحون عاجزين عن عيلولتهم ، ولذلك هم يؤخرون الزواج دفعاً لخطر العيلولة المتوهمة ، ويستعملون بالإضافة إلى ذلك الوسائل الطبية كالإجهاض ومانع الحمل ، وبذلك نجد الجاهلية الأولى قد عادت ثانية ، يوم كان الناس في صحراء شبه الجزيرة يقتلون أولادهم من الفقر أو خوف الفقر لأنهم لا يملكون ما يكفلونهم به .

فنهاهم الله عن ذلك ، وإن نهيه الذي وجهه إلى الجاهلين الأوائل لا يزال موجهاً إلى أبنائهم الأواخر من المجموعة البشرية ، احتجاجاً صارخاً على ظاهرة الإبادة البشرية وإعاقة مسيرتها. **﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم ألاَّ تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم وإيَّاهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصَّاكم به لعلكم تعقلون﴾**[3] **«ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق**

---

(١) سورة النور آية ٣٢ .

(٢) سورة الملك آية ١٥ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥١ .

نحن نرزقهم وإيّاكم إنَّ قتلهم كان خِطأ كبيرا﴾[1].

إن الـــذي شق فـــي كافـلي بالـــرزق حتـــى يتـــوفـاني

فالإجهاض أو الإبادة للنسل بطريقة أخرى مع كون الزوجين فقيرين ، ممنوع بمقتضى مضمون الآية الأولى﴿... **ولا تقتلوا أولادكم من املاق** ..﴾ يعني بسبب الفقر الفعلي أي حال اتصافهم به .

أما استعمال حبوب منع الحمل والوسائل الطبية الأخرى ، من أجل منع تكوين الجنين خوفاً من احتمال الفقر والعجز عن العيلولة ، إذا كان ذلك بعد انعقاد النطفة فهو محرم ، إذ وردت الفتوى « يجوز منع الحمل قبل انعقاد النطفة ولا يجوز بعدها . وهذا الجواز ثابت لكل الأساليب والأدوية ما لم يستلزم عنواناً ثانوياً محرماً كالضرر البليغ المحرم ، أو انكشاف العورة للجنس الآخر أو للماثل أيضاً ، ولا يكون إرادة منع الحمل سبباً كافياً في جوازه . والعملية الجراحية لمنع الحمل لو لم تستلزم المحذور السابق ، وإذا لم توجب نقصاناً في خلقة الإنسان كقلع الرحم ونحوه فهي جائزة . ومجرد إيقاع الألم في الجرح والبنج وغيره ليس محرَّماً[2].

فاستعمال موانع الحمل بعد انعقاد النطفة محرَّم بموجب الفتوى ومضمون الآية الثانية﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق** ...﴾نعم يجوز منع الحمل لاسباب معقولة منها تعرض المرأة عند الحمل إلى خطر وإن كان محتملاً ، ما لم يستلزم عنواناً ثانوياً محرماً كما ورد في الفتوى . وشرط استعمال المانع أن يكون قبل انعقاد النطفة ، أما بعد انعقادها فيحرم التعرض لها بضرر إذ أن إماتتها يعتبر قتلاً لأنها بمنزلة النفس ، وقد حرم الله قتل النفس إلاّ بالحق .

بينما نجد الشعوب المتمدنة والتي حاولنا تقليدها في كل شيء تكثر فيها نسبة اللقطاء والإجهاض ، وضحايا العقاقير الطبيّة .

---

(١) سورة الإسراء آية ٣١ .

(٢) الفتوى لسماحة حجة الإسلام السيد محمد باقر الصدر دام ظله .

ومن هذه الأسباب التي أوقعتهم في هذه الأخطاء والأخطار ، هي رذيلة البغاء . فقد قدر عدد ضحايا عقاقير الحمل في فرنسا سنوياً — ٦٠٠,٠٠٠ — ستمائة ألف ، وعدد ضحايا اسقاط الحمل (الإجهاض) أربعمائة ألف . فيكون عدد الضحايا سنوياً مليون ضحية .

وذكرت مجلة —ويسبر— الأمريكية انه يوجد في أمريكا عشرة ملايين طفلاً لقيطاً[1] .

لقد اضطر هؤلاء إلى التعثر في مسيرتهم بتلك الحلول المغلوطة ، نتيجة لعدم وضوح الطريقة المثلى لديهم ، وعدم وجود الرؤية الكاملة فيهم . أما نحن ولدينا ما يكفل لنا الخروج من كل محنة ، والابتعاد عن كل عثرة فلا داعي إلى تقليدنا لهم والسير وراءهم .

إن العلاج الوقائي من كل ما وقع فيه غيرنا هو الزواج الشرعي والتربية الصالحة ، والكسب الوفير المشروع والإهتمام بالمصالح العامة ، وتحمل مسؤولية حماية الإنسانية من مفاسد الحياة وأضرارها .

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم للآصفي .

المرأة في عصر النور وسيلة للترفيه والدعاية

بُحّت حناجر المنادين بتحرير المرأة ، ورُفعت اللافتات المطالبة بحقوقها ، وشُرعت القوانين للمحافظة على حقوقها ، وعُقدت المؤتمرات لها ، ونُظِّمت المسيرات ، وشكلت الجمعيات والمنظمات ولكن لمن ؟ لا ندري ؟ ... وحين أقولها لا ندري ، لأن كل متتبع يرى التناقض واضحاً بين المدعى والواقع الاجتماعي الذي تعامل فيه المرأة ، فإنهم في الوقت الذي ينادون بتحريرها ، ويرفعون اللافتات من أجلها ، يستغلونها للعرض التجاري المبتذل ، ويلصقون صورها الخليعة على الرزم وعلب المواد الاستهلاكية . واستغلت مفاتنها وكل مظاهر جسدها على شاشة السينما والتلفزيون ، وصفحات المجلات والصحف . فالأفلام السينمائية حين يعلن عنها ، يروج لها بنشر صور للأجساد العارية عند مداخل السينمات .

وكذلك المجلات الواسعة الانتشار ، استغلت مفاتن المرأة ، ونشرت البعض منها الصور العارية لها ، وصور الممارسات الجنسية .

فلئن كانت الجاهلية الأولى قد وأدت المرأة خوف العار وتجنب الفضيحة ،

فقد أفرطت مدنية العصر عصر الذرة ومدنية أعوام المرأة ، في قتل معنوية المرأة وإنسانيتها . وإنني إذ أكتب هذه السطور وأثبت هذه الحقائق أثق كل الثقة بأن المرأة تشعر بما بيَّته ويبيته لها هؤلاء عبر التاريخ وفي مسيرة البشرية على مسرح الحياة.

فإنها حين تواجه بالتصفيق والهتاف وهي على مسرح التمثيل والرقص ، أو في مواقف الغناء ، إنما تظهر أمامهم وهي مبتذلة تشعر بضعتها وتعريتها من كل قيمة إنسانيَّة ، وحين تنشر لها الصور في المعارض أو على صفحات الصحف وعلى شاشة

التلفزيون والسينما باسم الفن ، إنما تعرض جسدها رخيصاً بعد تنازلها عن عرش إنسانيتها ومكانتها الإجتماعية . وفي هذه الحالة فهي أشبه بسلعة تعرض للبيع في أسواق العرض والطلب ، حيث تعرض من جسدها على الرجال ما يحقق لهم المتعة منها ، في مقابل ما تتناوله من أيديهم من ثمن بخس ، فتفقد القيمة التي تملكها الأخريات من النساء اللواتي يملكن شهرتها وثراء ها .

وإليك أيها القارئ الكريم ما ضمنته النجمة السينمائية الشهيرة (مارلين مونرو) رسالتها المحفوظة في صندوق الأمانات في نيويورك والتي قدمتها نصيحة إلى بنات جنسها فهي تقول : «.... لقد ظلمني الناس ..... وان العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة .... مهما نالت من المجد والشهرة الكاذبة المزيفة ..... إنني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل[1] .

وأخيراً بعد هذه الحقائق الصارخة ، والوثائق الواضحة تطمئن المرأة إلى زيف وكذب هؤلاء المنافقين المخادعين ؟.

---

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم .

حرية المرأة تحت الشعارات المزيفة

لا أعتقد أن أحداً في هذه الدنيا يمانع أو ينكر على المرأة في أن تطالب بحقوقها في مجال الإنطلاق وممارسة التمارين الرياضية والتسلية ، مع المحافظة على حشمتها وكرامتها وعفافها . ولكن الذي يستوقفنا موقف التأمل ، ويدفعنا إلى التساؤل رغبة في الفهم وحب الاستطلاع ، لماذا يصر بعض المندفعين من الرجال ، وتلح بعض المتحمسات من النساء على ممارسة المباريات الرياضية في ملاعب مختلطة ؟، ونتساءل لماذا لا تكون الملاعب مصنفة ؟ أي لماذا لا تكون بعض الملاعب الرياضية ملاعب نسائية خاصة بها ، وأخرى ملاعب رجالية خاصة بهم؟ فتكون لكل من الجنسين ملاعبه الخاصة به . فهل في ذلك التصنيف حيف يلحق بالمرأة ، أو مضايقة لها ، أم فيه خطر على حريتها ؟. هذا مع العلم أن ممارسة التمارين الرياضية الشاقة من أخطر الأشياء على أنوثة البنت ؛ لأنها تقضي على حساسية الأنوثة عندها . وان حاجة المجتمع إلى النساء هي في أن يكن أمهات مربيّات وزوجات صالحات ، يملكن خصائص الأنوثة والأمومة ، لا أن يكنّ رياضيات من أجل المشاركة في المباريات العامّة . أما في مجال العلم والثقافة ، فقد جعل الإسلام الحق للمرأة في طلب العلم والثقافة ، بل فرض عليها واجباً شرعياً سواء على نحو الوجوب العيني كما في طلب العلوم الإسلاميّة الخاصة بمعرفة أصول الدين وفروعه ، وتفهم الأحكام الشرعية التي موضع ابتلائها ، أو على نحو الوجوب الكفائي كطلب المعرفة بالعلوم الأخرى التي ترجو بها تحصيل الكمال لنفسها أو لأمتها الإسلامية ، واعداد القوة والارتقاء في تحصيل بقية العلوم

الإنسانية من أجل مواكبة المسيرة العلمية العالمية .

ولكن لماذا لا يكون التحصيل العلمي للمرأة إلا في معاهد مختلطة ، وفي كافة المراحل الدراسية الابتدائية والثانوية والجامعية ؟ ما هي صلة العلم بالاختلاط بين الرجال والنساء ؟، وما هي صلة الثقافة بخلوة الطلاب والطالبات بعضهم ببعض؟ ماذا ترى أيها القارئ ... وماذا ترى أيها الأب وأيها الأخ ... وماذا ترين أيتها الأم الرؤوم الحنون ..؟ هل يتوقف طلب العلم والمعرفة على ارتداء الأزياء المثيرة والرحلات المختلطة والرقص ؟.

وبعد ذلك نقول : ما هو الهدف الذي تستهدفه جهات التربية والتعليم في البلاد الإسلامية حين تتبنى الدراسة المختلطة ؟. لقد أدى الاختلاط في مدارس الغرب إلى نتائج سيئة ، إذ قد انصرف الطلاب والطالبات عن المناهج الدراسية بشكل عام ، إلى المغازلات وممارسة العمليات الجنسية بدل الدرس والاهتمام بطلب العلم . لذلك أعاد علماء النفس والتربية نظرهم في مشكلة المدارس المختلطة ، وصمموا على فصل البنين عن البنات في المرحلتين الابتدائية والثانوية .

كما ازدادت موجة التحلل في أمريكا بشكل مذهل ، بحيث أصبحت المدارس أوكاراً للشذوذ الجنسي والانحراف ، وتحول الطلاب من بنين وبنات إلى مدمني خمر وسفاكي دماء ، فالمسدسات والمدى في جيوب الطلاب ، والسجاير وحبوب منع الحمل في حقائب الطالبات . فلماذا بعد تقديم هذه الأرقام الناطقة يلح المسؤولون في ميدان التربية في العالم على الاختلاط

ورب قائل يقول : إن الاختلاط بين الجنسين في المدارس وغيرها من شأنه أن يهدِّئ من غريزة الإنسان الجنسية ، ويقضي على جموحها بشكل تدريجي ؛ فيصبح كل من الجنسين مألوفاً لدى الجنس الآخر دون أن توجد أي إثارة .

وهنا نترك الإجابة على هذا الرأي لسماحة أستاذنا الجليل والمربِّي الفقيه الحجة الشيخ محمد أمين زين الدين حيث يقول : «احضر أمام جائع منهوم مائدة شهية المآكل متنوعة الألوان .. ودعه يتمتع برؤيتها ساعة أو أكثر من ساعة لتستيقن

صدق هذه الحجة التي يقيمون .

ودعه يتحلىّ بالنظر إلى صحافها واحدة واحدة ، ويستنشق روائحها عرفاً عرفا ، ويتقصّى ألوانها لوناً لونا ، ويعد فواكهها فاكهة ... ويعيد النظر .. ويستأنف التعهد والاستقصاء . دعه يمتع بصره وحواسه كذلك ساعة أو ساعتين .. ثم سله ألا يزال جائعاً بعد ؟ .

ألم يملأ عينيه بالنظر ، وأنفه بالعطر ، وذهنه بالتعداد وبالتصور ، ونفسه بالمتعة ؟؟ .. فكيف تبقى جوعته بحالها ؟!.

إن متعة العين بالنظر الشهي ، ومتعة السمع بالحديث الملذ ، ومتعة الحواس الأخرى بالمدركات الجميلة المحببة ... لن تسد نهمة الجنس ، ولا جوعة المعدة يا أيها الأساتذة! ومن يدع غير هذا فإنما يكذب نفسه .. وتكذبه البداهة من كل عقل .

أوعيت أيها القارئ الكريم ما أجاب به استاذنا مربي الجيل والفقيه الحجة أبو ضياء سماحة الشيخ محمد أمين زين الدين حيث يبين لنا ، كما أن النظر إلى الطعام الشهي بمختلف ألوانه وعدد صنوفه ، وما يصف معه على سماط الموائد من شراب وفواكهة ، وشم روائحها وسماع الإطراء والمدح لما لها من طعوم ولذّة ، وتكرار ذلك من حيث النظر والشم والسمع ، لا يسد شيئاً من جوعة معدة الناظر والسامع ، كذلك ان الذي يستعرض مختلف الفتيات الحسناوات من جنس حواء ، من قريب وبعيد وهن يرتدين مختلف الأزياء المثيرة التي تكشف عن بعض الجسم ، وتجسد البعض الذي تكسوه بل تحكي عنه ، بما لها من طبيعة شفافة ، فإنه لا يشعر بأي هدوء عن الإثارة الجنسية ، وإن الالفة والتقارب بالاختلاط بين الجنسين لا يقضيان كما يدعي المدعون على ثورة الجنس بشكل تدريجي . بل العكس هو الصحيح ، وخير دليل على ذلك ما يحصل بين الجنسين في البلاد المنفلتة سلوكياً والمتحللة أخلاقياً ، بعد أن يخرجوا من دور السينمات التي تعرض الأفلام الجنسية المثيرة ، فيخرج الفتيان والفتيات بل الرجال والنساء ، بعد مشاهدة

تلك الأفلام وهم في قمة الجموح الجنسي حيث يطارح بعضهم بعضاً في المتنزهات أو في أماكن أخرى ، ويمارسون العمليات الجنسية صراحة ويسمون ذلـك تحرراً، فأين إذاً هذا من قول المحبذين والمؤيدين للاختلاط .

لماذا تحمس البعض للمطالبة بتحرير المرأة

لقد اندفع البعض من الرجال متحمسين للمطالبة بتحرير المرأة ، ورفع اللافتات وقيادة المظاهرات ، من أجل المطالبة بحقوقها . ونحن لا نختلف معهم في قضية المطالبة بحقوقها ، وذلك لمظلوميتها التي عاشتها وتعيشها في الحياة المعاصرة في الشرق والغرب ، وفي شرقنا الإسلامي على وجه التحديد ، خصوصاً بعد انحسار الحكم الإسلامي عن الأمة الإسلامية .

ولكن الذي نود أن نسأل عنه هو : لماذا يندفع البعض من الرجال للمطالبة بحرية المرأة ، في الوقت الذي تعيش فيه المرأة حياة السكون والهدوء ؟، أفهل أنابت النساء أولئك النفر من الرجال للمطالبة بحريتهن ؟ أم ماذا ؟. والذي اعتقده ويعتقده المطالبون أنفسهم ، أن لا وكالة في البين لينوبوا مطالبين بهذا الشكل من الإلحاح . فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يسكتن صاحبات الحقوق أنفسهن ويندفع غيرهن للمطالبة ؟.

أفهل كان السبب حقاً وراء ذلك ، هو الإنسانية والوجدان والضمير ، من أجل رفع الحيف عن المرأة ؟ أم ماذا ؟. وإذا كان الدافع هو أحد تلك الأسباب التي ذكرت أو مجموعها ، فلماذا يرضون للمرأة المسكينة أن تبرز إلى ميادين التمثيل ومسارح الرقص ؟ تتلوى عارية أمام أنظارهم مخدوعة بتصفيقهم وهتافهم ، وهم لا يفعلون ذلك إلاَّ من أجل أن يُمتِّعوا نهمهم الجنسي بمفاتن جسدها العاري وبما وراء ذلك من متع أخرى .

أفهل كان اندفاعهم لقيادة المظاهراث ورفع الشعارات ، من أجل ارتفاع

المرأة عن أعراف الجاهلية لتحتل مكانتها في دنيا الكرامة والعفة والشرف ، ولتتعاون مع الرجال في بناء كيان المجتمع وتحقيق الحياة الحرّة الكريمة ؟ فهو قصد شريف وهدف نبيل . أم لتستعيد أدوارها في عصر الرومان والهنود ومجاهيل الغابات ، وحياة القبيلة الرعناء ؟، يوم كانت متعة للرجل وبعض متاعه ، يحركها كيفما شاء ، فهو يتمتع بها تارة ويقدمها متعة لغيره تارة أخرى .

أجل أرادوا لها بشعاراتهم أن تكون قريبة منهم ... ان تخرج من خدرها ... أن تتنازل عن حشمتها وعفتها وكرامتها ... أن تقدم نفسها مبتذلة يتمتعون بجسدها باسم الفن . وأما إذا أرادوا لها الدخول إلى ميدان السياسة ، فلا بد لها أن تكون مؤهلة لهذا الميدان ، وأن يكون لها من الوعي السياسي ما يمكنها من المحاسبة ، والمطالبة بحقوقها قبل أن يطالب بها الغير .

والحقيقة التي لا يمكن معها أن نبخس المرأة حقها ، أو نحملها ما لا تستطيع . هي أن المرأة بطبيعتها وطبيعة تركيبها لا تصلح لدخول ميدان الحياة السياسية ، ذلك لأن السياسة تحتاج إلى عقلية واعية محيطة بكل الملابسات ومناشئها وظروفها ، لا تتأثر بالمؤثرات العاطفية . وهذا غير ميسور لها بالقدر الذي هو ميسور للرجل .

كما وأنها تحتاج إلى شخصية ذات قابليات تؤهلها للدخول في معترك المناقشات السياسية العنيفة ، والمجادلات لكسب الموقف ، غير أن التغيرات التي تعترضها كالحيض والنفاس والاستحاضة ، وما لها من تأثير على نفسيتها تجعل ذلك في الأعم الأغلب متعذراً عليها . لذلك نجد أن اشتراك المرأة في السياسة لهآثاره السلبية على تقرير مصير الإنسانية في مجال الحكم . لذلك أعطى الإسلام كلمته بهذا الخصوص ، ورأى أن من الأنسب تجنب المرأة للحياة السياسية ، وإبعادها عن مجال الحكم ، عناية منه بطبيعة تركيبها ، والمحافظة على عاطفتها من التأثر بصخب الجو السياسي وعوامله المثيرة من جهة ، وحماية نتائج الحكم والقضاء ، وحقوق الناس ومصيرهم من أخطاء تأثرها بالعوامل الخارجية من جهة أخرى . فالمرأة لا تقضي ولا تجاهد ، وإبعادها عن الحياة السياسية من وجهة نظر الإسلام ليس

انتقاصاً من مكانتها ، ولا اضعافاً للثقة بها ، وإنما من أجل أن تتفرغ إلى ما هو أهم من ذلك ، من أجل التفرغ لتربية الأجيال تربية صالحة لا يصلح للقيام بها غيرها.

الأم مدرسة فلو أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فهي معهد الأخلاق والحنان ، وهي مدرسة الإنسانية الأولى ، وهي مهد الأبناء وعنصر من عناصر اللبنة الأولى في بناء المجتمع . فلما أراد الإسلام أن تتفرغ للتربية وإدارة البيت ، فقد أراد لها أن ترتبط بالحياة الزوجية الأصيلة ، وتتولى مهمة أمومة المجتمع الصالح ، الذي يتحمل بدوره مسؤولية دفع عجلة التاريخ إلى الأمام .

المرأة تريد ما لا يريدون

وبعد أن ابادت الحروب الكثير من الرجال ، المسؤولين عن القسم الكبير من النساء في الغرب ، وطحنت اجساد ازواجهن وآبائهن واولادهن . واستوعبت السجون القسم الآخر منهم . وجدن أنفسهن لا سند لهن في الميدان الاجتماعي ، يهددهن الجوع والعري والفقر والضياع ، وغيرها من الكوارث الأخرى . وعندها حبّبوا لهن الدخول إلى ميدان العمل ، ولما لم يجدن بداً من الاستجابة ، لا لحاح الحاجة وسوء المستقبل ، استجبن مكرهات إيما اكراه .

أجل استجبن استجابة تلعنها المرأة ، وتلعن المجتمع الذي اقحمها فيها وجرّها إليها وإلى دخول ميدانها ، فوجدت نفسها تخلع الثوب الناعم الرقيق الملائم لنعومتها والمجسد لا نوثتها ، لتستبدله بالثياب الخشنة التي لم تألفها ولم تخلق لها . فتراها ترتدي تلك الملابس طوال النهار إذا ما كلفت بعمل اضافي ملطخة بالادهان والأوساخ تحمل السلالم وغيرها من الأثقال ، وتمارس الأعمال الشاقة وتقطع المسافات البعيدة . وربما يقتضي العمل لها الاقامة بعيدة عن عشها الذي تأوي إليه وتحمّل الكثير من الأعمال التي لا تتناسب وتكوينها العضوي .

وحين تجد المرأة نفسها تعيش الحياة على مثل تلك الصورة القاسية المتعبة ، تعاني الشقاء والعذاب في ظل أنظمة تلك الشعوب والمجتمعات ، حينئذٍ تفضل العودة إلى بيتها وتحن إلى الحياة الزوجية الحميمة ، والأمومة الحانية . وترفض كل ما أراده لها واقحمها فيه اولئك الخادعون ، وتلعنهم وتلعن مطاليبهم الخادعة المسمومة .

هذه هي النتيجة التي تنتهي إليها المرأة بعد التجربة أن لم تكن قد وعتها من قبل

فهي ترفض العمل والتوظيف ناقمة إيمّا نقمة ، تطالب بالعودة إلى حياة المنزل وظل نظامه الاسري الهادىء ، وكلها رغبة وحنين واشتياق إلى احضان الزوج ودفء المحبة والشرف والعفة ، إلى حنان الأمومة وواجب حضانة الابناء وتربيتهم .

وأما اللواتي دخلن إلى عالم الحكم من بنات الغرب ، فأنبهرن بصورة حياتهن البعض من فتياتنا ، فإنهن معدودات بالأصابع ولا يقاس على الشاذ النادر ، وإنما على الأعم الأغلب ، والأعم الأغلب من بنات الغرب يعشن كما ذكرت لكم قبل قليل حياة العذاب والشقاء ، إذ قد هجرن البيوت طلباً للعيش ، فتعود كل واحدة منهن بعد ساعات العمل مكدودة متعبة مهما كان نوع عملها ، ناقمة على نفسها وناقمة على المجتمع الذي اقحمها في ميدان العمل .

هذه الصورة الحقيقية لحياة المرأة الغربية التي اضناها العمل وعذبتها الحياة .

لذلك أقدم نصيحتي إلى المرأة المسلمة ، بل إلى كل امرأة بهرتها حياة المرأة الغربية ، أن تثوب إلى رشدها وتعود إلى تفكيرها الصحيح ، وإن تسلك درب ظل الحياة التي وفرها لها الاسلام ، وتقر في بيتها وتحتضن اطفالها ؛ لتعيش قريرة العين مرتاحة البال مطمئنة النفس ، ذلك خير لها وأسلم عاقبة والعاقبة للمتقين .

والتفهم بأن تزويد الرجل بالقوة والشدة والصلابة ، وتزويد المرأة بالعاطفة والحنان ، لم يكن عبثاً أو عملاً عفوياً من قبل خالق السموات والأرض .

وإنما شاءت الطاقة أن يودع في كل من الرجل والمرأة ما يلائمه في تكوينه ويساعده على القيام بوظائفه .

فأودع القوّة والشدة في الرجل ليؤدي مهمته خارج البيت كخليفة لله في الأرض وكقيمّ على مجموعة من البشر يتحمل مسئوليتها .

وأودع العاطفة والحنان في المرأة لتتعهد اطفالها بالعناية والرعاية .

ولكن حين خرجت المرأة الغربية على سنة الحياة وقوانين الطبيعة فيما خلقت له وما كان محل اختصاصها ، فقد خرجت من ميدان الاستقرار إلى مشقة الحياة .

وحاولت أن تصطنع الرجولة لنفسها ؛ ففشلت وأصبحت لا هي بالمرأة القادرة

على التمتع بالحياة النسوية ، ولا هي بالرجل الذي يستطيع الكفاح في مجالات الحياة وبعد وضوح النهاية التي وصلت إليها المرأة في الغرب ، فلا معنى لأن تنبهر فتياتنا بحياة المرأة الغربية ، ولا معنى لأن يُقَلّدْنها بمسير الفاشلة المنحرفة ، بل عليهن أن يرجعن إلى ثروتهن الحضارية الأصيلة وعقيدتهن الاسلامية الصالحة ، ويسلكن طريق أم المؤمنين خديجة وغيرها من المسلمات .

تحرير المرأة من الأعمال المنزلية

نشرت مجلة الصياد اللبنانية[1] على صفحاتها : « .... بأنّه ليس على الاطلاق ، من نوع تقييم الانتاج النسأني ، ولا مقارنة مؤهلات المرأة وقدراتها بمؤهلات الرجل . وليس على الاطلاق محاولة للبت ، في نقاش سفسطائي لا يزال يدور في البلدان المتخلفة ، حول اختلاف التركيب البيولوجي والفيزيولوجي والنفسي بين المـرأة والرجل ، فشخصية الفرد الاجتماعية هي العنصر المؤثر في مجال الانتاج ، وليست شخصيته الحميمة . والاختلاف بين الجنسين ، سواء وجد أم لم يوجد ، لا تظهر معالمه في الشخصية الاجتماعية إلا بفضل التربية ونظرة المجتمع التقليدية إلى كل من الجنسين . وقد ثبت ذلك بالتجارب العديدة وتكرس حقيقة علميّة ... أما التقييم بالمقارنة فلن يصح إلا بعد أن تتوحد ظروف الجنسين الحياتية ، وأوضاعهما التعلمية والثقافية والاجتماعية . أي بعد أن تتحرر المرأة نهائياً من أشغال المنزل ومسئوليات حضانة الأطفال ، وهذا التحرر لم يتم ـ كما هو شائع ـ بتطوير العقلية وتغيير تدريجي في العادات والتقاليد الاجتماعية . بل يقتضي ثورة في النظم الاجتماعية وأعادة توزيع الأعمال والأدوار ، بحيث يتم تصنيع الأعمال المنزلية واعفاء المرأة منها بشكل كامل .

باختصار مفيد أن المشكلة مطروحة على الشكل التالي :

إذا كانت المرأة باعتقادنا هي المسئولة عن حضانة الأطفال وتربية الأولاد والقيام بالأعمال المنزلية وخدمة الزوج .

---

(١) مجلة الصياد عدد ١٥٨٦ وتاريخ ٦ ـ ١٣ شباط ١٩٧٥ م .

وبكلمة ، إذا كانت هي الرابط الجامع لشمل العائلة . وإذا كان سبعون بالمائة من النساء يقمن بهذه الأعمال بالاضافة إلى اشغال أخرى يؤدينها خارج المنـزل وبالشروط نفسها التي تحكم على الرجل ، من حيث بذل الجهود وعدد ساعـات الدوام فالنتيجة تتراءى بوضوح : ارهاق للمرأة ينتج عنه اهمال في مجال الحضانة والتربية ، وتفكك لاواصر العائلة .

وذلك دون أن يوجد البديل الاجتماعي والانساني والاقتصادي ، لتلك العائلة المهددة بالزوال » .

وهنا لا بد من سؤال نطرحه : هو كيف يتم تحرير المرأة من أشغال المنـزل وحضانة الأطفال وتربية الاولاد ، حتى مع فرض تصنيع الأعمال المنزلية وتوزيع الأعمال والأدوار ؟

وكيف يمكن اعفاء المرأة منها بشكل كامل ؟ وإذا اعفينا المرأة من الأعمال المنزلية فمن ذا الذي يقوم بأدائها اهو الرجل ام غيره ؟ .

ونحن نتصور القضية في ثلاثة أشكال :

الشكل الأول : أن يتولى القيام بالأعمال المنزلية وحضانة الأطفال وتربيتهم امرأة أخرى كبديل عن ربة البيت ، تقوم مقامها اثناء غيابها عن البيت ، وخلال فترة ممارسة أعمالها خارج المنزل ، في المعمل أو الدائرة أو أي عمل آخر ، حتى ترجع وكذلك أثناء وجودها في المنزل ، ولا مهمة لصاحبة المنزل وربة البيت إلا دور المشرف فقط لا غير .

ويرد الاعتراض على هذا الشكل ، أن المرأة البديل لا تخرج عن كونها امرأة ، فلا يمكن التمييز بينها وبين صاحبتها التي جعلتها بديلاً عنها ، فلا بد من تحر يرها من أعمال المنزل والاّ فلا معنى لرفع شعارات تحرير المرأة من الأعمال المنزلية ، إذ لا بد من تحريرها وتحرير شامل لكافة النساء والا لزم التناقض . أضف إلى ذلك بأن المنزل ليس منزل البديلة ، فهي لا تحسن ادارته كصاحبته ، ولو أحسنت فهي لا تهتم بتدبيره اهتمام ربته ومسئولته الأولى ، التي لو تولت الأمر بنفسها لا ختلف

اختلافاً كلياً من حيث الاهتمام والحرص والتدبير . فهذا مصير المنزل باختصار .

أما الأطفال ، وإن كانت الأم غير مسئولة عن حضانتهم وأرضاعهم من ناحية شرعية ، كما قرر الاسلام ذلك .

ولكن لا يختلف اثنان على أن الأم هي أحسن حاضن لا طفالها ، ولا يمكن أن تعوض عنها أية جهة أو مؤسسة سواء دور الحضانة أو غيرها . ثم يثور نفس الاشكال أو الاعتراض الذي أورد على مسئولية المنزل .

إذ لو حولنا حضانة الأطفال إلى دور الحضانة ، وأن دُور الحضانة كفيلة بأن تقوم بدَورِ كفالة الأطفال .

ولكن دُور الحضانة تدار من قبل النساء ، والنسوة في دور الحضانة لا بد من تحريرهن أيضاً من هذا الواجب . لأنه يجب أن لا يكون امتياز لأمهات الأطفال عليهن ، وهذا التحرير حق من حقوقهن ، والاّ لزم التناقض .

وكذلك مسئولية تربية الأطفال فأنهاتجري مجرى مسئوليتي المنزل والحضانة .

الشكل الثاني : أن يكون الرجل هو البديل للمرأة في مهام البيت وتدبير المنزل والقيام بأعماله ، وحضانة الأطفال وتربيتهم ، ويلزم من ذلك :

أ ــ أن تكون النساء كل النساء مسئولات عن الأعمال خارج المنزل ، ويتولى الرجال كل الرجال مسئولية البيوت وحضانة الأطفال وتربيتهم .

ب ــ أن تتولى النساء كل ما يلزم من امور السياسة والحكم والقضاء والعمل ، والواجبات العسكرية ، وما إلى ذلك من تنظيم شئون التجارة وغيرها من المهام الاجتماعية ، وذلك لانشغال الرجال بمسئولية المنزل وحضانة الأطفال وتربية الأولاد .

جـ ــ وبعد ذلك لا بد من احتجاج صارخ من الرجال للمطالبة بتحريرهم من الأعمال المنزلية وتوابعها ، فيمثلون نفس الدور الذي تمثله المرأة في العالم في العصر الحاضر . ويلجئون إلى تشكيل الجمعيات وتأسيس المنظمات الرجالية كـ « رابطة الدفاع عن حقوق الرجل » من أجل استرجاع حقوقهم ودفع

ما نزل بهم من حيف . وتلك مسألة تبقى موضع التأرجح بين الرجال والنساء لا نهاية لهـا .

و ــ يترتب على ذلك شعور متضاد بين الرجال والنساء وتياران متعاكسان لا يحصل معهما وفاق بين الرجل والمرأة ، إذ يشعر كل منهما بخصومة الآخر له .

وحصيلة ذلك أن لا سعادة زوجية في عالم الزواج على الاطلاق .

الشكل الثالث : أن تتولى ربة البيت ــ صاحبة المنزل المسئولة ــ مسئولية المنزل وحضانة الأطفال وتربيتهم وهي أولى من غيرها بهذا الأمر ، لأنها صاحبة الحق الأصيل ، وأكثر الناس شعوراً وحرصاً على ادارة بيتها ، وحضانة اطفالها وتربيتهم ولا يكون العطاء صحيحاً والانتاج موفوراً الاّ ممن يشعر بالمسئولية وضرورة أداء الـواجب .

أضف إلى ذلك :

أ ــ أنه لا يترتب أي نزاع أو معاكسة بين الرجل والمرأة على تولي المرأة مهمـة المنزل والحضانة والتربية ، ذلك لأن الأمر من اختصاصها دون غيرها ، وهي أكثر الناس خبرة في مجال اختصاصها . وأمـا النزاع عـلى صفحات الصحف وفي بطون الكتب ليس إلا نزاعاً مفتعلاً ، ولا وجود له لو تعقلت المرأة الأمر بروّية . ولا ضير عليها من ذلك ولا احتقار ، إذا قلنا أن مهام المنزل وادارته من اختصاصها ، بل ذلك للرفع من مكانتها .

إذ هي تتولى مهام الحياة في المنزل ، ويتولى الرجل مهام الحياة في خارجه وبعد ذلك يشتركان في الأمور غير ذات الاختصاص في ميدان بناء المجتمع .

ب ــ ينشأ الأطفال في جحور امهاتهم نشأة حنان ورعاية ، نشأة دفء ورحمة ، فيكون ذلك عاملاً مهماً في نشوء الأطفال ونموّهم ، إذ ينمون نمّواً طبيعياً صحيحاً متكاملاً بكل ما للتكامل من معنى ، تكاملاً نفسياً وجسديّـاً وعقليّـاً .

جـ ــ المساواة بين كافة النساء ربات البيوت والعاملات ، وذلك خصوصاً بعـد

تغيير النظم الاجتماعية إلى ما هو الاصلح ، وتوزيع الأعمال والادوار وتصنيع المنزل . فيكون القيام بالأعمال خارج البيت ، بعد انجاز المـــرأة لا عمالها بشكل مرضي ، موكول إليها في الوقت الفائض ، على أن لا يكون ذلك على حساب رسالتها وحياتها الزوجية .

ثم ننظر بعد ذلك إلى أختها التي تساعدها عند الضرورة في البيت ، نظرة احترام وتقدير إذ لا فرق بينهما ، ولا فرق بين العاملة في البيت والعاملة في المعمل . وإنما وجدت الفوارق لا نتشار الجهل ، وعدم الفهم الصحيح لقيمة الانسان رجلاً أو امرأة ،ولعدم وجود النظام الاجتماعي الصالحالذي ينظم حيـاتهما .

د ـ السعادة الزوجية : ذلك لأن الرجل المسئول عن اعالة الأسرة ونفقاتها ، وكل ما تحتاجه المرأة ، حين يرجع إلى بيته ، ويجد امرأة تبتسم له فتبتسم لابتسامتها في نفسه أسارير الحياة ، ثم تضمه بحنان ، لتبدد عنه متـاعب العمل . فإنه يشعر بالسعادة الزوجية الكاملة في حياته الاجتماعية .

والمرأة التي تقوم بدورها كاملاً من أجل إسعاد زوجها ، إنما تحقق بـذلك سعادتها لأنها وزوجها شريكان في هذه السعادة ، فتجد امامها رجلاً يحميهـا ، ويخوض من أجلها غمار الحياة ويصارع متاعب الزمن ، ويقدم كلى مافي وسعه من أجل اسعادها وراحتها . بل ويفتديها بنفسه .

فإذا كان الأمر هكذا مرتباً ، ومبنيّاً على أساس من التعاون والتفاهم ، وسيادة المحبـة والمـودة ، لا نحتاج بعدهـا إلى شعارات التحرير ولا إلى المنظمات والاتحادات النسائية أو الرجالية ، فيسود السلام وتتم كلمة الحق صدقاً وعدلا .

المرأة والمؤتمرات النسوية

وكذلك نشرت مجلة الصياد اللبنانية[1] موضوعاً بقلم بارعة مكناس علم الدين ، تحت عنوان ـ كحل المؤتمر العالمي للمرأة كان أفضل من العمى ـ ، والمؤتمر هذا هو المؤتمر النسوي العالمي للمرأة الذي عقد في المكسيك والذي كان من المؤمل أن تترأسه عقيلة الرئيس المكسيكي ، ولكن الحكومة المكسيكية إختارت المدعي العام السيد ـ بدروا وجدا ـ رئيساً للمؤتمر ، كما مثّل وفد لبنان النسأبي للمؤتمر السيد ـ الفرد دبس ـ .

وأن اختيار الحكومة المكسيكية المدعي العام لرآسة المؤتمر ، والفرد دبس رئيساً لوفد لبنان أثار المؤتمر النسأبي ، لأنه تصرف مخالف لما هيأ له المؤتمر ، إذ أن انعقاد المؤتمر كان من أجل مساواة الرجل والمرأة . واعطاء رئاسة المؤتمر ورئاسة وفد من وفوده إلى الرجال لهو تحد صارخ لكرامة المرأة ومكانتها .

لذلك تقول الكاتبة البارعة بارعة علم الدين : « وهذا الاختيار أثار حفيظة العديد من سيدات القمصان المتصقة بالجسد ، واللواتي خلعن حمالات صدورهن .

وفي الوقت الذي كان هَمُّ معدّي المؤتمر ـ أي هيئة الامم المتحدة ـ التركيز على مساواة المرأة والرجل ، ومن ثم دور المرأة ومسئوليتها في السلام العالمي والتنمية . كانت أروقة المؤتمر تشهد معارك حامية بين مختلف الوفود ، ابرزها بروح الحرب الاجتماعية ، إذ سرعان ما برز الفارق الشاسع بين العالم المتخلف والعالم المتقدم وشتان بين متطلبات المرأة في العالمين . فالمرأة في العالم المتخلف تركز على العدالة

---

(١) مجلة الصياد عدد ١٦٠٨ وتاريخ ١٠ ـ ١٧ تموز ١٩٧٥ م .

الاجتماعية والنمو الاقتصادي وحمايتها اولادها من الجوع والتشرد ، والأخرى تحارب من أجل الجنس الحر أي حرية المرأة في استعمال جسدها حسبما تشاء . وما يتبع ذلك من حرية الاجهاض ، بالاضافة إلى الفرص المتساوية في العمل والرواتب » .

وقد كان عدد النساء اللواتي حضرن المؤتمر على نحو التقريب أكثر من ١٥ خمسة عشر ألف سيدة من جميع انحاء العالم .

أسمعت ايها القارىء الكريم تلك المهزلة التي تضحك الثكلى ـ وشر البلية ما يضحك ـ . مؤتمر تهيئة هيئة الأمم من أجل المطالبة بحقوق المراة ، ويحضره ذلك العدد الذي ليس بالقليل ، كيف تكون نهايته . نهايته أن وفود العالم المتقدم لا هم لها إلاّ ممارسة الجنس الحر ، ولا اهمية في الحياة في نظرها إلا المطالبة بتحقيق تلك الحرية

وأن تلك الندوات النسائية في اجتماعات المؤتمر كانت كما أفاد المراقبون مليئة بالتناقضات والهفوات المضحكة .

ومن خلال ما قدمته الكاتبة مشكورة ، ندرك الحكمة التي انتهجها الاسلام في ترجيح أبعاد المرأة عن الميدان السياسي .

وكيف أن مناقشات وفود البلدان المتقدمة كانت منصبة على مشكلة الجنس الحر ، وكيفية ممارسة هذه الحرية التي تستعمل المرأة فيها جسدها كيفما تشاء ، وحرية الاجهاض .

فالمرأة في البلدان المتقدمة حين لا تستطيع أن ترقى إلى أكثر من ذلك المستوى ، ولا يمكنها التخلص من اطارها الفردي والتحرر من مشتهياتها وملذاتها الخاصة ، لا يمكن بأي وجه من الوجوه ولا من العقل أن تتولى ادنى مهمة سياسية ، توكل فيها إليها معالجة أقل مشاكل الإنسانية . وأن أي شعب من شعوب الدنيا يولي أمره امرأة من هذا النوع من النساء ، ليس له حظ من الصلاح ، ولا يؤمن له في الحياة الفلاح إذ قد ورد في المأثور ـ لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة ، وأخيراً خير للمرأة أن تنصرف عن ذلك إلى ما خلقت له ، وما كان موضع اختصاصها عمّا لم يكن من

ميدان اختصاصها ، وأنصرافها إلى ميدان اختصاصها معناه معرفتها قيمتها في مسار المجتمع ، وتحملها لمسئوليتها التي لا يمكن أن ينهض بها غيرها . نعم اللهم إلا إذا فشل الرجال في واجب الرعاية ، لعدم تفهمهم القيام بها وعدم توافر الاهلية فيهم ، ومع توفر اهلية الرعاية في المرأة ومعرفتها كيفية القيام بهذا الواجب ، فهنا تستدعي الضرورة على نحو الوجوب قيام المرأة بواجب الرعاية التزاماً بمرسوم التكليف الاسلامي الوارد عن الرسول (ص) : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وهذا وإن لم يكن مستحيلاً عقلاً ولكنه مستحيل واقعاً .

المرأة والادارة المنزلية

أيها القارىء الكريم ، إنني حين ضمّنت كتابي عن الزواج في الاسلام ، بعد ما تناولت في القسم الأول منه الزواج في الاسلام . إنما فعلت ذلك لا قدم بين يديك دراسة مقارنة بين ما رسمه الاسلام للإنسانية في مسار حياتها الطبيعي ، من أجل حفظ النوع البشري ، وتنظيم البنية الاجتماعية بالشكل الصحيح ، وإشباع الغريزة الجنسية بالطريقة المشروعة . وبين ما تعيشه الامة من ابتعاد في واقعها الاجتماعي عن خطها الأصيل وشريعتها الكاملة ، وما أدى إليه ذلك من إنحراف عن السير على وفق الخط الذي وضعه الاسلام في مجال الزواج وتنظيم الأسرة .

وللتأكد من ذلك فلها أنا أضع بين يديك وثيقة من وثائق الانحراف . ولا ذنب في ذلك للإسلام وإنما الذنب ذنب المسلمين أنفسهم :

وإن كـان ذنب المسلم اليـوم جهلـه فماذا على الاسلام من ذنب مسلم[1]

لقد كتب رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية[2] ، تحت عنوان :

« ربابة البيت أول مهنة .... »[3] ، يقول : جاء خطاب من سيدة هـذا بعض ما جاء فيه : « .... وفي التعليم أكتفيت بالتعليم الثانوي ، وجاءني ابن الحلال ، وكان جديراً بالزواج فتزوجته .

وساعدني الحظ بأن ارتضاه اهلي كما ارتضيته ، والفتاة في مثل السن التي

---

(١) من أبيات للشاعر المعروف الرصافي .

(٢) مجلة العربي عدد ٢٠٢ شعبان ١٣٩٥ هـ أيلول ١٩٧٥ م .

(٣) ربابة البيت : إدارة البيت ومنها سميت المرأة التي تتولى هذه الإدارة ربة البيت .

كنت بها ، ينفتح امامها طريقان ، أما الدخول إلى الجامعة ، وهي اليوم الموضة السائدة وأما الزواج ، وغريزة المرأة إلى الزواج لا شك اقوى . وهي تخاف أكثر ما تخاف أن يفوتها القطار .

وبعد نزاع فكري شديد اعتزمت على ركوب القطار قبل أن يفوت . وعملي اليوم عمل البيت ، ولي ولدان وانا بهما وبزوجي سعيدة . وزوجي يحب أن يجتمع بالناس واجتمع بهم معه ، بعض معارف وبعض اغراب .

والذي يضايقني الأغراب عندما يسألون ماذا أعمل ، فأقول ربة بيت . فأحس أن هذا جواب لم ينتظروه .

ينتظرون مني أن أقول اني طبيبة أو مهندسة ، أو متخرجة من كلية الآداب ، أو على الأقل مدرّسة . أمّا أن أكون ربة بيت ، فعمل لا يرفع من قيمة المرأة لا سيمّا الشابة مثلي كثيراً » . « أفلا تظن معي أن امتهان ربة البيت امتهان لمعنى الأسرة . وإذا لم تكن المرأة ربة الاسرة فمن يكون ؟ أيقوم بها الرجال ؟! من يطبخ للاطفال ، من يخيط لهم ، من يعنى باجسامهم وبعقولهم ؟ الرجال ؟!. أنقلبت الأوضاع عند اهل الغرب ، وسرنا وراءهم مقلدين ، فألى أي مدى وراءهم نسير » ؟.

ثم قال رئيس التحرير : « المكتوب طويل وفيه آراء ذات بال لم آت بها .

وأردت أن أرى بعض الجامعيات ، ذوات المهن فيها ، فأطلعت احداهن عرفت فيها الكثير من الفكر المستنير . اطلعتها على الخطاب بعد اخفاء امضائه ، وقرأته . ولما سألتها عن رأيهاقالت في شيءً من الغضب : « هذه فتاة رجعية ...»

من قال أن الأسرة ضرورة ، ومن قال أن أنجاب الأطفال ضرورة ؟؟.

من قال أن الفتاة لا بد أن تصبح أماً ؟ إننا نطلب المساواة بالرجل ، والمرأة وحدها هي التي تتحمل ، فأين المساواة ؟ وبعنقها وحدها يتعلق الأطفال فأين المساواة ؟.

آراء هذه الفتاة قديمة ، وكل رأي قديم لا بد من مسحه هذه الأيام . وما أيسر مسحه ، إنه كخط القلم ، وهو قلم رصاص ، ما أسرع ماتمحوه محاية من مطاط .

أسمعت كيف كان جواب هذه الفتاة الجامعية ؟!. فإذا كانت لا تريد الاسرة ولا الزواج ولا الإنجاب ولا تريد أن تكون اماً فما الذي تريده هذه الفتاة إذاً ؟ . فهي انثى وتمتلك في تكوينها الغريزي غريزة جنسية ، فكيف وماذا تفعل حين تطلب تلك الغريزة اشباعها ، اتستجيب لها أم لا ؟ وإذا استجابت كيف تكون استجابتها وبأي طريقة ؟ .

إنها مسلمة وفي بلد اسلامي عربي ، وبهذه البساطة وبلا مبالاة ، تصدر حكماً بلا روية على فتاة سعيدة في بيتها مع زوجها وأولادها متهمة إيّاها بالرجعية . ولا أدري مـا هو مفهوم الرجعية عند فتاتنا الجامعية ؟ التي لم تجن من تحصيلها العلمي أكثر مما سمعت في عالم السلوك والأخلاق .

أسمعت كيف تنفي فتاتنا وبكل جرأة ضرورة تكوين الأسرة ، وضرورة الانجاب وضرورة الأمومة . وما ذلك إلاّ لأنها جهلت الطريقة المثلى في الحيـاة الانسانية من جهة ، وتوهمت بأن المساواة مع الرجل لا تتحقق الاّ بإنكار هذه الضرورات من جهة أخرى . وهذا هو الانحراف الذي منيت به الأمة الاسلامية ويالللأسف في ظروفها الراهنة .

وقد كان بودي أن أناقش ما ورد في رسالة الفتاة الجامعية ، ولكن وجـدت الكفاية في مناقشة رئيس تحرير مجلة العربي الغراء . غير إني رغم ذلك آثرت أن اقتطف منه قسماً لأقدّمه بين يدي القارىء الكريم ، فهو يقول : « ..... والحكم الصادق يحتاج قبل القطع إلى رويّة . والشباب يفتقد الصبر والرويّة . وهو سريـع الضيق بالذي يضيق به من بعض التقاليد ، وحق له أن يضيق ، ولكن لا يلبث أن يضيق فكراً بكل تقليد ، ما مسه من هذه التقاليد وما لا يمسه .

وكالشباب أكثر الرجال ممن فاتوا دور الشباب ، حتى يختبروا الحياة اختباراً ، فيذوقون حلوها ويذوقون مرها ، من قديم الاعراف وحديثها . وعندئذ وبعد الخبرة يدركون حقيقة ما كانوا كرهوا من الحياة ، وما احبّوا ، وأن الذوّاق كثيراً ما يخفي في باطنه القبح والبشاعة . حتى قال : « وأنا من أجل خبرة الحياة الطويلة ، لا أوثر

الرأي الحديث لحداثته ، ولا اوثر الرأي القديم لقدمه ، وإنّما أنا اوثر الرأي الجميل والجميل هنا هو الحق . الرأي الظاهر النفع الذي ائتلف أو يأتلف مع زمانه قديمه وحديثه » .

ونعم ما قاله رئيس التحرير وما انتهى إليه بقوله « و الجميل هنا هو الحق » . فما كان حقاً يؤخذ وما كان باطلاً يطرح ، وإن الله تعالى اختار لنا الحق دون غيره وأمرنا بالإيمان به ، والعمل على وفقه ، والصبر على التزامه والدفاع عنه « والعصر . أن الإنسان لفي خسر . إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[1] .

فالحق هو الاسلام وشرعته شرعة الله التي ارتضاها لعباده ، والصبر عليها حق ، لأن ظاهرها وباطنها النفع ،وقد ائتلفت وتأتلف مع كل زمان وفي كل مكان ، منذ فجرها الأول حتى الآن وفي المستقبل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم يقول : وأعود إلى ربة البيت لأقول لها ، وأقول لكل انثى ، أن ربابة البيت هي من أول المهن التي اصطنعها البشر للحياة على هذه الأرض ، وهي أول مهنة تشرفت بها النساء .

..............والبيت حماية للمرأة وللذي في احشائها .

واعفي الرجل من الحمل ، وهو من أثقل اشياء هذا الوجود .

ووضع منظم الكون على اكتاف الرجل أثقالاً وتبعات ليتساوى الثقلان ، ثقل المرأة في احشائها ، وثقل الرزق وتبعاته على اكتاف الرجل ...... اني اتحدث عن البيت وربابة البيت ، لا بوصفي عالم اجتماع أو ضالعاً في عقيدة ، ولكنني اتحدث بإسم العلم ، لا سيما علم الحياة وما وراء ذلك من اهداف هي صريحة للمستطلع من العلماء . فليس في مثل هذا الحديث رجعية ، وليس فيه تقدمية ، وليس فيه ميل جزافي مع محافظين واحرار .

...... فالمرأة إن ملأت رعاية الزوج ، ورعاية البيت والأولاد وقتها كله ،

---

(١) سورة العصر آية ١ ـ ٢ ـ ٣ .

فأنعم بذلك ، وأنعم بمهنة امتهنتها هي أشرف مهن المرأة علي الاطلاق .

والمرأة إذا فاض وقتها عن رعاية البيت ، وطلبت مهنة إلى البيت مهنة أخرى، فأهلاً بذلك وسهلاً . وليس في ذلك جديد » .

نعم إذا فاض وقت المرأة عن رعاية بيتها وإسعاد زوجها وتربية اولادها ، فلا مانع من أن تزاول مهنة أخرى ، ما لم تكن على حساب دينها وحياتها الزوجية . وأما إذا أردنا اصلاح جانب على حساب جانب آخر ، متغاضين عمّا تترتب على ذلك من مضاعفات فإن الأمر يكون كما قال الشاعر :

نـرقـع دنيانـا بتمـزيق ديننـــــا فـلا ديننـا بـــاق ولا مـا نـرقـع

وبعد هذا نرجو لفتياتنا أن يستفدن من تراث عقيدتهن الفكري ، وخطهـا التشريعي ، ويحافظن على أصالتهن في الحياة بين نساء الشعوب ، ويتجنبن التقليد في ما يضر بعقيدتهن ويخالف خطها التشريعي ، إذ أن في ذلك المسخ لا صالتهن ، وجعلهن في مدار التبعية مقيدات غير احرار ، وهذا مخالف لما ورد في الأثر : لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً .

ملحق

كتاب الزواج في الإسلام

وانحراف المسلمين عنه

المرأة تستغيث

أن الانحراف الذي منيت به الأمة الاسلامية ، والذي عاشت قسوته المـرأة وذاقت مرارته في حياتها ، لقد قض مضجع النساء بويلاته ، وجعلهن يستغثن ممـا نزل بهن من ظلم وحيف .

لذلك إنبرت الكاتبة شادية منصور ، لتسمع الإنسانية صوت المرأة ، وتكشف للمخادعين خداعهم ، وزيف دفاعهم فنشرت على صفحات مجلة اليقظة الكويتية[1] تحت عنوان « احموا المرأة التي لا حاشية لها ! » تقول : المرأة المرأة دائما المرأة .. مؤتمرات ، ومقررات وتوصيات .. أصبح للمرأة سنة دولية .. وبالمناسبات شعارات ... وملصقات .

وبالمناسبة أيضاً ، يومياً نقرأ حوادث الاعتداء والخطف والاغتصاب .. فتيات يخطفن ويهاجمن وكأنهن فقط ما خلقن الاّ لأطفاء الشهوة .. وتبديد الكبـت والحرمان . من يدفع الثمن دائماً المرأة . حتى بسنتها الدولية تدفع الثمن الشرف الجائع الذي يبحث عن اللذة في مهد طفلة ... وعلى امرأة مضرجة بدمائها ... في الصحـراء ..

وحوش مفترسة .. فتشوا عنها ... اقتنصوها ... لا تبعدوها فقط عن البلاد ، فبلاد الله واسعة .. عاقبوها .. اعدموها ... اعدموا مفترساً واحداً كما تعدمـون القاتل ، الذي قتل ليأكل ... أو السارق الذي سرق ليعيش .. القاتل يرتدع إذا عالجتم الأسباب .. والسارق يتوب إذا شبع .. ولكن مغتصب الاعراض .. يلقى

---

(١) اليقظة الكويتية عدد ٤٢٠ وتاريخ الاثنين ٢٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ .

كل يوم فريسة .. ولا يرتدع .. ماذا .. ايبعد عن البلاد .؟ ما همـه .. سيفترس اخريات .. إلى أن ينطفيء آخر نبض فيه فاطفئوا شعلة حياته .. لأنه سيطفيء كل يوم شمعة . ما هم الطفلة إذا تساوت حقوق المرأة بالرجل ؟؟ ايحميها هذا الحق ؟؟ مـا هم .. التي تختطف .. إذا أقيم مؤتمر عالمي ينادي بحقوق المرأة وهي منتهكة العرض والشرف .. التي تقيم المؤتمرات .. هي التي تكون محاطة بحاشية حاميـة لهـا .. في السيارة السائق .. في العمل الحاجب .. في البيت .. البواب .. والطبّاخ .. ولكن تلك التي لا حاشية لها .. ماذا تفعل ..؟ فإلى الذين يعقدون المؤتمرات ويصفقون للمرأة .. احموا .. المرأة التي لا مؤتمر لها .. ولا مقررات .. وتوصيات .. ابحثوا .. عن الوحوش .. فإذا كانت سنة المرأة الدولية هي سنة هتك اعراض .. فماذا تكون السنوات العادية المقبلة .. نحن نطالب بحمايتنا وبوسائل تصون شرفنا فقط .. أيّاً كانت هذه الوسائل » .

أن تلك الاستغاثة التي رفعتها المرأة في عام سنة المرأة ، إلى الذين يعقدون المؤتمرات باسمها ، ويصفقون لها ، لهي خير دليل على أن المرأة قد أدركت المخادعة الكاذبة الخبثية في أساليب هؤلاء ومؤتمراتهم ، والتناقض الواضح بين ما ينادون به ويعقدون المؤتمرات لأجله ، وما يعاملون به المرأة من طيش وقسوة عليها ، واعتداء على عرضها وشرفها ، وهتك لها في عصر قرن العشرين . فراحت تستغيث مطالبة بحمايتها من المتصيدين والمفترسين ، الذين هم اسوء شراسة من مفترسي الغاب .

نعم تستغيث المرأة وتطالب بحمايتها من أجل أن تصون شرفها فقط ليس الا .

ونحن نقول لها بصراحة أن لا حماية لها ، ولا حفظ لحقوقها ، ولا صيانـة لشرفها ، ولا عزة لها ولا كرامة الاّ بالرجوع إلى الاسلام والسير على طريقة الشرعية ، والعيش تحت ظل نظامه الخالد .

الاسلام منقذ المرأة

نعم عاشت المرأة قساوة الحياة ، وذاقت الأمرّين في عصور ما قبل الميلاد وما بعده . وهي كلما حدث تغير اجتماعي أو سياسي ، شع الأمل في نفسها وأنتظرت أن تنال شيئاً من حقوقها ، أو بعضاً من كرامتها . ولكن سرعان ما يتبدد ذلك الأمل وتعود سحب الخيبة أكثر عتمة من ذي قبل ، فتخيم على نفسها تصاحبها الآلام والانزواء في حياتها .

أجل وهكذا عاشت المرأة تقلبات الحياة ، حتى شع ضوء الاسلام الحنيف على وجه الكوكب الأرضي ؛ فاكتسح ظلمات الجاهلية وهدم ابراج الجاهليين الظالمين ، وأعاد لكل ذي حق حقه .

فتنفست المرأة حينئذ ، ووجدت ما كانت تأمله من ذي قبل ، مهيئاً لهـا تامّاً غير منقوص . حيث استعادت حقوقها ، وأحرزت كرامتها ومكانتها الاجتماعية ، وصانت شرفها وعفتها .

واعترافاً بهذا الجميل وتقديراً لما قدمه الاسلام لكل بنات حواء . نشرت مجلة آخر ساعة[1] بقلم ــ آمال عباس ــ وتحت عنوان ــ هي في السودان لم تعد لها مطالب بعد أن نالت كل حقوقها ــ : « ورغم محاولات المرأة التي بلغت حد حمل السلاح من أجل المحافظة على وضعها .. ولكنها منيت دائماً بالفشل أمام متغيرات الحياة الاقتصادية المتصاعدة .

ولقد ظلت الأسرة في المجتمع الرعوي والاقطاعي والرأسمالي تقوم على أساس

---

(١) مجلة آخر ساعة عدد ٢١١٨ وتاريخ ٢٨ مايو ١٩٧٥ جماد الأولى ١٣٩٥ .

هيمنة الرجل الاقتصادية على الأسرة وعلى المجتمع وعلى الدولة ، وحتمت الاّ تكون لها مهمة غير انجاب الأطفال واعداد الطعام ... فكتاب موسى يأمر بهجر الزوجة العقيم .. وكتب الهند المقدسة لا تعطي المرأة حق الحرية ولا امتلاك الثروة .

وفلاسفة اليونان على وفرة اهتمامهم بأمور الحياة والآداب والفنون لم يرتفعوا بالمرأة إلى منزلة اعلى .. بل في كثير من الاحيان جهروا باصواتهم العدائية لها ! ! .

فيثاغورس يقول : مبدأ الخير خلق النظام والنور والرجل .. ومبدأ الشر خلق الفوضى والظلمات والمرأة » .

وابقراط يقول : المرأة في خدمة البطن » .

وأرسطو يقول : الانثى .. أنثى بسبب نقص لديها في الصفات .

وافلاطون ينادي : باشاعة النساء .

والحضارة الرومانية لم تعترف للمرأة بارادة حرّة ولا مستقلة وإنما نادت بتبعيتها المطلقة للرجل ..

وظلت المرأة تتطلع للشرائع الجديدة في كثير من الأمل .. ولكنها كانت دائماً تتعرض للشعور بالخيبة والخسران ، وبالرغم من أن المسيحية جاءت دعوة محبة وخير وسلام منادية بالخلاص للمضطهدين والمغلوبين والرقيق .. الاّ أن الكثير من آباء الكنيسة وقساوستها اعتبروا المرأة عدوّة للفضيلة وتجسيداً للمفسدة وهلاكاً للروح .

قال البابا يوحنا : ليس هناك بين وحوش الأرض المفترسة ما هو اشد اذىً وضراوة من المرأة » .

وجاء الاسلام منارة مشعة للمغلوبين والمسحوقين الذين اهدرت الجاهلية انسانيتهم وكرامتهم .. وجاء القرآن واضحاً في ضمان الحياة الكريمة للمرأة التي كانت تدفن حيّة: ﴿ **وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾[1] .

وأرتفع الاسلام بالزواج من عقد التجارة والملكية والمتعة الجسدية إلى المشاركة

---

(١) سورة التكوير آية ٨ ــ ٩ .

الحميمة في المودة والحب ﴿ **أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾[1] .

أجل إن هذا الاعتراف بالجميل ، والتقدير لما قدّمه الاسلام للإنسانية في كافة المجالات وعلى مختلف الاصعدة ، لا ينبغي أن يكون من بنات حواء فقط ، إذ أن الاسلام هو دين الله إلى العباد جميعاً ، ورحمته للعالمين .

فالمجموعة البشرية بنسائها ورجالها بكل اجيالها ومختلف قطاعاتها مدينة للاسلام إذ أنه الرسالة الرائدة ، والتجربة التشريعية الناجحة ، التي استطاعت أن تخـرج البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهدى: ﴿ .... **وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾[2]

فخير اعتراف بهذا الجميل وأحسن تقدير تقدمه الأجيال للاسلام ، هو حمل رسالة هذا الدين وتبليغها إلى الأجيال المتعاقبة ؛ لتستفيد هديه وتنعم بخيره وعطائه ، حيث الهدى والإيمان والطمأنينة والاستقرار ، والأخوة والمحبة والتعاون مدى الحياة ﴿ **والتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** ﴾[3] . فإلى الاسلام ايتها الأمّة ، ايتها الإنسانية المعذبة ، وإلى نظامه العادل الذي كانت تجربته أروع تجربة شهدها التاريخ البشري ، فانهلوا من منهله العذب وتفيئوا ظلّه الوارف ، واطيعوا الله ورسوله لعلكم تفلحون .

---

(١) سورة الروم آية ٢١ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

العذراء المخدوعة

أن الانحراف الذي منيت به الأمة الاسلامية في مسيرتها عن مسارها الطبيعي ، إنما كان نتيجة أسباب متعددة منها :

١ ـ ضمور الفكر الاسلامي في ذهنيات ابناء الأمة الاسلامية .

٢ ـ عدم وضوح الرؤية الشرعية لهم ليكون ميسوراً لهم تطبيق الحكم الشرعي على الواقع الاجتماعي .

٣ ـ اعجابهم بالتقليد السلوكي والسير وراء المجتمعات الغربية على نحـو التبعيـة .

لقد كان اعجابهم بهذا التقليد على نحو أنهم يتصورون بهذه التبعية قد احرزوا المكاسب وحققوا الانتصارات . ولا يدرون كم قدّموا من تنازلات أزاء هذا التقليد ، وكم دفعوا من اثمان باهظة .

وإليكم فيما يلي صورة من صور التبعية السلوكية ، التي منيت بها امتنا نتيجة انضباع ابناءنا أمام سلوكية وأخلاقية اعداءنا ، المناهضة لعقيدتنا واعرافنا وتقاليدنا وحضارتنا .

هاكها قصة واقعية باختصار نقلاً عن مجلة اليقظة الكويتية التي نشرتها بقلـم ـ ابو توفيق ـ وتحت عنوان « نورا » .

« قال صديقي الشاب وهو يحاورني : سأقص عليك واقعة عايشتها ، وكنت شاهد عيان لتفاصيلها .. وأنا واثق أنها ستجد الصدى العميق والقبول فتنشرها على

(١) مجلة اليقظة عدد ٤٠٨ / وتاريخ / ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٥ م .

صفحات « اليقظة » بعد أن ظلت حبيسة صدري طوال هذه المدة .

ولما اومأت إليه مشجعاً قال : بين نهاية الستينات وبداية السبعينات ، كنت دائم السفر إلى أوربا وخاصة المانيا الغربية سعياً وراء الرزق ولقمة العيش ، كان لي أقارب واصدقاء هناك وخاصة في مدينة ميونخ حيث يتلقون العلم في جامعاتها . وفي احدى سفراتي إلى المانيا واجهت بعض المصاعب في الحصول على الاقامة عقب موجة من التشديد على المقيمين والقادمين العرب ، فاضطررت للسفر إلى ميونخ للاستنجاد باحد اقاربي الذين يعملون هناك منذ زمن طويل ليساعدني في تذليل مصاعبي بحكم أنه متزوج من المانية وله اولاد منها .... وكان قريبي يسكن في قرية « كرافنك » التي تبعد نحو ٣٥ كيلو متراً عن ميونخ حيث أجرة البيوت الرخيصة والمناخ الجديد والبعد عن ضوضاء المدينة .... وذات صباح وكان يوم احد حيث تتعطل الاعمال ويقضي الناس اجازاتهم في تزاور ورحلات إلى الأماكن التي يريدونها ، أو في الحدائق العامة والجنائن الوارفة .. كنت أجلس وقريبي في حديقة منزله ننتظر أن تنتهي زوجته من تجهيز الطعام الذي نحمله معنا ... إلى احدى الغابات الكثيفة القريبة لنقضي عطلة الأسبوع هناك . وكانت زوجته قد تشرّبت طباع قريبي فتعلمت منه صنع بعض الأكلات العربية ، كما حبّذت تسمية اولادها مصطفى وسعيد ومريم ، وتعلمت منه بضع كلمات وجمل بالعربية تتلفظها بلهجة ركيكة ، تبعث اولادها على الضحك لأنهم يجيدون العربية ...... بينما تكلمهم ـ الزا ـ وهي امهم ـ بالالمانية .... وسمعنا الزا تنادي بمرح : صبري لقد جاءت نورا .

وركض الأولاد .... فرحين ، بينما قرأ صبري في وجهي علامات الاستفهام فقال : إنها فتاة عربية قريبة منّا ، صديقة لألزا وتدرس في احدى جامعات ميونخ وتعمل في مكتبة الجامعة ...

إلى هنا بدأ الأمر طبيعي بالنسبة لي ، ولكن عندما تبيّنت القادمة انبهرت مشدوهاً أمام الجمال الطاغي الذي ابدعته يد الصانع الأكبر فجاء آية في الكمال ...

وألقت نورا بجسدها على الحشائش حيث كنا نجلس وهي ما تزال تتحدث بالألمانية مع الزا التي ما لبثت أن صفقت بيدها بمرح ، وقامت مسرعة إلى المنزل ، وهنا قال صبري بالعربية : إننا سنسعد بوجودك هذا النهار معنا يا نورا .. لكن كيف حالك أنت ...... أنا سعيدة ...... عندي كلام كثير سأفضي به إليك فيما بعد . ففكر صبري قليلاً ، ثم قال كمن لا يستطيع صبراً : ...... هل هو شوقي ؟ إنّه من خيرة طلابنا المغتربين هنا .... ما أسعده !.

...... قالت أنها مفاجئة .. بل مفاجئات . فعقد صبري جبينه مفكراً ، وزداد فضوله غير أنّه ابتسم وهو يقول : مفاجئات ، يا ساتر يا رب .. تكلمي .. لقد شوقتني للمعرفة . فضحكت ... وقالت وهي تهم واقفة لتلحق بألزا : لم يحن الوقت بعد .. ستعلم بكل شيء .. واستدارت تسارع الخطى برشاقة وأنا اتبعها بنظرات مسحورة كشفت دخيلة نفسي لصبري فضحك قائلاً : لا يخامرك الظن بنورا .

أنها أشرف وأنظف فتاة عربية هنا .. فقاطعته قائلاً بصدق .. بل أنها أجمل فتاة وقعت عليها عيني . فقال مستطرداً : هذا صحيح .. وشوقي شاب سوري من عائلة محترمة وهو طالب معها في الجامعة .. أنه يحبها بجنون ، وقد صدته بكل أدب حتى الآن ، واقنعته بأنها لا تفكر بالحب أو الزواج في الوقت الحاضر ...... ولا بد أن المفاجئة في قبولها الزواج به ...... وأندفعت بنا السيارة في طريق جبلي .. وكان صبري يحاول أن يستدرجها للكلام ، ولكنها كانت تتهرب ... إلى أن وقفت بنا السيارة في رقعة فسيحة من الأرض غطتها الحشائش والأعشاب ، فنزلنا أنا وصبري في ظل شجرة .... ريثما تجهز نورا والزا الطعام ، بينما أخذ الأولاد يلعبون ... وقال صبري ... أن نورا امضت ثلاث سنوات في الجامعة حتى الآن ، وهي دائماً من الاوائل .... كما أن والدها موظف كبير ، في وزارة خارجية بلاده ، ولم يتزوج منذ أن فقد زوجته والدة نورا قبل عشر سنوات .. وذكرت لي قبل شهرين أن والدها سيحال على التقاعد لا صابته بجلطة قلبية تهدد حياته .. وهي تجيد الألمانية والانجليزية اجادتها للغة العربية .... وقال لها وهو يحاورها : الآن وقد انتهينا من الطعام ....

أريد أن أكون سعيداً مثلك .. ألست أخاك كما تدّعين ؟ ، فالتفتت إلى الزا وقالت : ما رأيك بالحاج زوجك ؟ فضحكت هذه قائلة : من حقّه أن يعرف .. لكـــن منك أنت .

وشردت نورا ببصرها فترة خلتها دهراً قبل أن تقول :

في الحقيقة لست أدري ماذا أقول ولكن رغم مرحي وسعادتي فإن الأمر خطير ولا أريد أن آخذه على محمل الجد . فقال صبري ، وهو يتفرس في وجهها : إنك تعلمين منزلتك في قلوبنا ، ومبلغ سعادتنا بسعادتك .. وإذا كنت قد توصلت إلى اتفاق سعيد مع شوقي فإن ذلك يوجب تهنئتكما .

وما أن سمعت نورا بأسم شوقي حتى اهتزّت كالضبية حين تتوجس خطراً .... واستمر صمتها ... فقال صبري .... وهل أرسلت لوالدك تطلبين موافقتـــه ؟ فتنهدت نورا ولم تجب ... بينما تابع صبري .... رغم انني أُأيد شوقي .. لكن يجب مباركة الوالد . فالتفتت .. ثم قالت : ليس لشوقي أي دخل في الموضوع . فحملقنا فيها مندهشين ما عدا الزا التي كانت تعرف كل شيء مسبقاً .. وقال صبري .. : إذاً تكلمي .. ماذا هناك ؟ فقالت بهدوء .. ليس شوقي بالموضوع كما قلت لك .. إنها ربما تكون مفاجئة لن تتقبلها .... وأخاف أن استبق الاحداث دون مبرر ... ولكن صبري قال بهدوء ورزانة : نورا .. اعتقد أنك تثقين بنا .. فلا تتلاعبي بعواطفنا ... تكلمي بوضوح .... نعم سأتكلم .. هل تعرف الدكتور « جوسيب » ؟ فنفرت عروق صبري في جبينه وأجاب : ومن ذا الذي لا يعرف هذا الدكتور المنحل الذي لا يوقر طالباته ، حتى بنات الهوى وغانيات الكباريهات في ميونخ لا يسلمن منه .. نعم أعرفه ماذا به ؟ فأزدردت نورا ريقها بصعوبة وقالت : لن أخفي عنكم شيئاً ... فقبل ثلاثة اشهر شعرت بأنّه يهتم بي اهتماماً خاصاً ويحاول التقرب مني بشتى الوسائل ولم يكن الأمر غريباً منه وهو كما ذكرت .. ولكنني كنت أعرف كيف أعامله ، حتى إلى ما قبل اسبوعين حين طلب مني بالحاح أن ارافقه إلى احد المطاعم لنتناول العشاء .. وهنا اضطررت أن اقول له رأيي ورأي الناس فيه وأنـه

منحل ومبتذل ، وكل فتاة تشاهد معه تسحقها الألسنة ... فقال لي : معك حق ... إنني .. ولكني أعزب ، ليس هناك ما يملأ فراغي .. كما لا أرغم أية فتاة على مصادقتي .... فقلت له ولماذا لا تتزوج وقد تخطيت الأربعين ؟ فقال : لم اعثر على الفتاة التي تناسبني .. وسأتسلى حتى اعثر عليها .. فقلت له : وهل تريد أن أكون تسلية لك ؟ أنك مغرور يا جوسيب ... فقال : كلاّ ... يا نورا .. أقسم إنني أنظر إليك نظرة تختلف عن الآخريات .. إنني احترمك ، بل احبك . فقلت له في دهشة : تحبني ؟.. أنا ؟ هذا عجيب .. إنك تحب كل امرأة ، وكل طالبة ، .. ما دمن يقمن بتسليتك ، ويملأن فراغك .

فقال : اسمعي يا نورا .. إنني سأثبت لك إنني أحبك ... وسأقطع علاقتي ، بجميع من أعرف وسأكون لك وحدك .... فقلت له جادة : دكتور جوسيب .. احترم نفسك .. جئت إلى هنا لأتلقى العلم ، وليس الحب .. وقد حافظت على نفسي وسمعتي حتى الآن وأنا على أبواب الثالثة والعشرين ، وسأظل احافظ على شرفي حتى يبعث لي الله بمن يختاره قلبي لا شاركه رحلة العمر .. ولن أسمح لك بعد اليوم بالكلام معي إلا رسمياً ، وفي نطاق الدرس .

وصمتت نورا لحظة ، ثم استطردت تقول : وبالفعل اعتبرت الأمر منتهياً معه .... حتى كان يوم امس ، وكنت واقفة في حديقة الجامعة مع الطالبة ــ موتا ــ وحين مرّ بنا ، القى بالتحية وهو في طريقه إلى سيارته ، ولكن موتا تحرشت به وركضت خلفه ، فاستدار خلفه .... ولست أدري ماذا كلمها .. ولكنها طلبت منه مرافقته بسيارته ليوصلها إلى بيتها ، أو بيته ، وفجأة انتهرها بصرامة وأسمعها كلمات لم تتوقعها .... وركب سيارته وقادها ... ولمّا عادت موتا ... وبّختُها وقلت

لها : الا تخجلين على نفسك من مرافقة هذا الاناني المنحل ؟ فقالت : ...

لست أدري ماذا به .. لقد كان يرجوني إلى مرافقته .. إنه تغيّر منذ اسبوعين ، فلا يعاشر احداً ويقضي وقته في بيته ويطرد زائراته من الفتيات ... فقلت لها : الا

تحفظين كرامتك ؟ إنه انتهرك بل طردك ، فقالت : .... إنه جميل .... يشعر المرأة برجولته .

فصحت بها .. إنك مجنونة ...؟ كم عمرك الآن ؟ فأجابت لماذا تسألين ؟.. إنني في السادسة والعشرين . فقلت لها : منذ متى صرت امرأة ؟ فضحكت وهي تقول منذ كنت في السادسة عشر .. أنني أتناول حبوب منع الحمل ... وتركتني موتا .... سرت في طريقي لا أعرف أين ولكني كنت ميممة موقف الاتوبيس ... وقبل أن أصله ، وقفت سيارة الدكتور جوسيب

... ولحق بي وهو يقول بلهجة الرجاء والتوسل : نورا .. أنا آسف .. لكن يجب أن أكلمك كلمتين لو سمحت ..

فالتفتت إليه دون أن أجيب ، فاستطرد قائلاً :

أقسم لك انني تغيرت .. انني احبك يا نورا .. مستعد لتنفيذ كل ما تطلبين منيّ .. لا تظلميني .. سأكون راهباً اتعبد في محراب حبك ... أرجوك أن تسمحي لي بالتحدث إليك غداً في الصباح ... في الجامعة .. سأحضر في التاسعة ... أنت حرة .. وسارع إلى سيارته .... حتى إذا ما أنبثق فجر هذا اليوم كنت في دوامـــة شديدة الدوران .. هل أذهب إلى الجامعة ، أم لا .. ولماذا لا أقابله ؟ هل سيأكلني .. هل سيؤثر على مجرى حياتي ؟.. حتى وجدت نفسي في الساعة التاسعة في حديقة الجامعة وجهاً لوجه امامه ... وسرنا جنباً إلى جنب صامتين إلى أن قال : رغم كوني أستاذ .... فإني اعجز عن الحديث امامك ... بأنك تختلفين عن الآخريات ولك شخصية فريدة ... إنني .. تجاوزت الأربعين وقضيت حياتي في بهيميّة مطلقة ... إلى أن قابلتك قبل بضعة شهور .... وكنت اعتقد أنك كجميع الفتيات والطالبات حتى كان يوم مسابقة السباحة في الجامعة ورأيتك بالمايوه البكيني وجسدك يكاد يتفجر أنوثة صارخة ... وصممت يومئذ على الحصول عليك بأي ثمن والفــــوز مهما كلفني الأمر ..

... ولكن دون جدوى فقد فشلت في اصطيادك ...

... لهذا قررت وضع حد للماضي ... ومنذ أسبوعين نفذت قراري فقطعت علاقاتي السابقة .. وها أنا أتقدم إليك الآن طالباً الزواج منك لنبني حياة جديدة تصقلها تجاربنا ومغامراتنا السابقة .

فأمسك بيدي وهو يقول متوسلاً : هل أنتظر جوابك بعد اسبوع على الأكثر ؟ فضحكت من تسرعه وأجبته : هكذا غير ممكن .

...... والآن يا صبري .... ماذا ترى فيما سمعته منّي ؟. وقال صبري : ... نورا ... أنك تلعبين بالنار .. لقد بدأت تخوضين تجربة قاسية ....

ماذا ستقولين لوالدك المريض ... وما هو موقفك من شوقي ؟... فقالت : كل انسان له تجاربه ، وأنا لا أخاف منه وسأعرف كيف احافظ عليه .. أما والدي ... أنه لن يعارض ما دام في ذلك سعادتي .

ومسألة شوقي فإنها خارجة عن الموضوع لقد رفضت الزواج به ولم اعده بشيء ، بشيء ، كما أني لا أميل إليه .

فقال صبري : : يبدو أنك أتخذت قرارك وتحاولين اقناعنا بهذا القرار من باب المجاملة وليس من باب المشاورة . فهتَفَتْ به : أرجوك صبري .. أنك تهينني . فقال لها : هذا ليس بصحيح ...

على كل حال أنت عزيزة علينا وتهمنا مصلحتك وسعادتك . وأنصحك بعدم التفكير بهذا الموضوع ، فالدكتور جوسيب ليس منّا ولا من بيئتنا وطينته تختلف عن طينتنا ، وأخاف عليك من الفشل فلا أحب أن أرى دمعة حائرة في هذه العيون الجميلة وأن تختفي البسمة من شفتيك .

ــ وأبرقت لأبيها تخبره بالأمر ــ وكان جوابه ... برقياً : « سامحكِ الله .. لا تطعنيني من الخلف فتعجلي في نهايتي ، ولا تطرقي هذا الموضوع مرة أخرى » .

وحين بعثت له برسالة مطولة شرحت له الأمر بالتفصيل لم يرد عليها بشيء .

أما الدكتور جوسيب فأنه امضى عشرة أيام وهو ينتظر الجواب بفارغ الصبر .

وكانت نورا ...... وهي سعيدة في قرارة نفسها ... وقلقة من موقف والدها

الرافض من تحذير صبري ... ولكن الانثى هي الانثى ... لقد ركبها الغـرور وصممت على السير في الشوط إلى النهاية .... ورغم موقف والدها ، فإن خطبتهما أعلنت رسمياً وتحدد موعد الزواج بعد اسبوعين ... وصلتها برقية من والدها يأمرها بالحضور فوراً ... ولكنها ردت عليه .. « إنني اخترت وقررت رغم عدم رضاك الذي لا أفهم معناه ، فأنني اطلب مباركتك ودعواتك لي بالسعادة » .

وكان جواب الوالد إنه قادم في نهاية الشهر .

وبعد التشاور مع الدكتور جوسيب قررا أن يعجلا بالزواج ويقدما الموعد حتى يجيء والدها فيجد نفسه تحت الأمر الواقع مما يسهل اقناعه ......

وعندما علمت بأن صبري وزوجته لن يحضرا القران ، زارتهما صبيحة ليلة الزواج وقالت لصبري : ....

إنك أخي والزا أختي .. فهل تظنان علي بحضور زفافي وحين اجهشت بالبكاء وعدها بالحضور مع الزا ... وكان صبري والزا وشوقي .. من شهود الزواج .... وانتقلت نورا والدكتور إلى منزلهما الجديد ليتذوقا ثمرة الحب الحلال .

وفي تلك الليلة لم تسع الفرحة قلب نورا ، فأذهلتها النشوة ، وأحست بملائكة الحب تحملها على عرش من الورد والأذاهير ، بينما كان جوسيب في عنفـوان السعادة والشوق ... ولأول مرة اطبق على شفتيها يمتص شهد الرضاب ويلتمم بشفتيه المحمومة رحيق الصبا المتفجر ... وحين افلتت منه برشاقة لتخلع ثيابهـا ، ملأ لنفسه كأساً ...... وعيونـه المنهومة تتفحص مفاتنها حتى تجردت عاريـة امامه وهي ترمقه بخفر ودلال ... واحتواها بذراعيه وحملها إلى السرير .. وبعد بضع دقائق تراجع فجأة كالملسوع ... وراح يتمتم كالمأخوذ : غير ممكن .. كلا ... لا أصدق .. لا أصدق ... كيف يحدث هذا ! .

وصمتت لأنها لم تعرف ما يقول وماذا يريد ، بينما وقف الدكتور منفعلاً .... وهو يقول : كيف يحدث هذا ؟..

إنه غير معقول .. ما زلت عذراء .. لا تعرفين الرجال من قبل ؟ ـ فأومأت

برأسها مبتسمة واجابته باعتزاز ـ : ألم أقل لك انني احتفظ بشرفي وسمعتي حتى يأتي الرجل الذي يستحق أن أكون زوجته . وفوجئت بوجهه يتقلص وبصوتـــه يتحشرج ... إنك مجنونة ... متخلفة ... قادمة من وراء حظائر البقر .. لا تعرفين الرجال ، ولم تخوضي أية تجارب جنسية معهم ، كيف اصدّق أن فتاة مثلك جامعية مثقفة متحضرة ، ... تبقى عذراء حتى الآن ...؟ في أي قرن تعيشين ؟ وأي مستوى من التخلف والهمجية وصَلْت إليه ؟.. ويحي ما اسوء حظيّ .

... وبسرعة المجانين أخذ يرتدي ثيابه ونورا جامدة في مكانها ، ... مــاذا يقول هذا المعتوه ..؟ وهبّت واقفة قبل أن يغادر الغرفة ، وجذبته من ثيابه بقوّة سمّرَته في مكانه وهي تقول كاللبوة الجريح : ــ ما الذي تعنيه أيها الفيلسوف الأخرق؟ الأنني حافظت على نفسي وصنت بكارتي من الذئاب امثالك ، أكون متخلفــة ، همجية ، هل العذراء التي تحمي شرفها وتصونتاجها وتدافع عن عزتها لا تستحق سوى الازدراء والاحتقار في عالمك المنحط الذي تسميه متحضراً ؟

أنكم تعيشون المجتمع الساقط دون أخلاق ولا ضمائر ولا روابط مقدسة حتى بززتم الحيوانات في علاقاتكم الجنسيّة والزوجيّة ...

انني افتخر بطهارتي وعذريتي يا دكتور .. يا مثقف .. يا متحضر ، وأنت أبعد الناس عن الثقافة والحضارة .. إنني .... لنا تقاليدنا وعاداتنا وتربيتنا التي تحمينا من السقوط كما سقط مجتمعكم فغمرته وحول الرذيلة فلا يعرف كيف يخرج منها . أن تربيتنا تفرض على بناتنا الحفاظ على عذريتهن ليسلمنها امانة لا زواجهن ... فبدلا من أن يجتاحك الأنفعال ويعصف بك الغضب لأنني ما زلت عذراء ، كان الأحرى بك أن تشكر العناية الآلهية التي وهبتك شريكة حياتك بعد أن حافظت على كنوزها حتى اللحظة الأخيرة وسلمتك الأمانة معتز ة بكرامتها وعذريتها .

وسحب الدكتور نفسه .. وخرج من الغرفة وهو يقول :
الذي اعرفه أنك متخلّفة عديمة التجارب .... فارتدت ثيابها وهي لا تدري

كيف تتصرف بعد هذه الفضيحة ... وفي اليوم التالي سارعت إلى منزل صبري وما لبث أن قال : الحمد لله .. جاءت منه وليس منك .

فقالت نورا : يا صبري .... أرجوك أن تساعدني ....

وكانت الزا تصغي إلى الحديث ... قالت ؛ اقترح طرح الموضوع على الدكتورة ـ سيجفريد ـ فأنها صديقة الدكتور .... وتعرف طبائع العرب .

وكانت الدكتورة .... تجاوزت الخمسين .. ونورا تحدثها بما حصل .. ثم قالت : الحقيقة أن مجتمعنا منهار ، ... وأمسكت بالتلفون واتصلت بالدكتور جوسيب بالجامعة ، ... إلى أن عثرت عليه ، وطلبت منه الحضور فوراً .. وبعد ساعة وصل جوسيب منزل الدكتورة ورأى نورا وبرفقتها صبري وزوجته .. وبادرته الدكتورة سيجفريد قائلة : كيف يحدث هذا منك يا جوسيب ؟ فقال مستغرباً : وماذا تنتظرين أن أفعل ؟ هل تصدقين أنها ما تزال عذراء ؟.

فقالت الدكتورة : وماذا تنتظر غير ذلك ؟ وهل يرضيك أن تكون زوجتك وشريكة حياتك كانت ترتمي في احضان الرجال حتى وصلت حضنك ؟.. أن نورا شريفة وحافظت على نفسها حتى سلمتها لك ..

إن مجتمعهم يختلف عن مجتمعنا .. والتخلف وعدم التجارب عندهم هو قيمة الشرف وذروة الكرامة .

ففكر الدكتور جوسيب ثم قال : ... على كل حال .. انني لا استطيع العيش معها ، أريد الطلاق العاجل ...

وحاولت الدكتورة أن تثنيه عن موقفه، فقال : يوجد حل واحد .. فسارعت الدكتورة تقول : ما هو ؟

فقال : سأتركها ستة اشهر تحاول أن تكتسب خلالها التجارب هنا .. ثم أفكر بالأمر .

ووجدت نورا يدها تمتد بلا شعور صافعة الدكتور جوسيب بشدة وهي تقول : أيها الحقير .. انني اربأ بنفسي عن أن أعيش مع امثالك .. وأحمد الله أن انقذني منك قبل فوات الأوان .. وخرجت ومعها صبري الذي اصطحبها إلى منزله .... إلى أن وصل بعد اسبوع والدها ، فاصطحبها إلى بلاده بعد أن مكث بضعة أيّام في ضيافة صبري .. أما شوقي ... فأنه لم ييأس ولم يستسلم ، بل زادته هذه الواقعة عناداً وتشبثاً بنورا .. وبعد شهر سافر لا حقاً بها ... ولم يجد صعوبة في الحصول على موافقتها ومباركة والدها ، فتم عقد قرانه على نورا في غمرة من الافراح والليالي الملاح » .

هذا هو الغرب يا ابناءنا يا فتياتنا ، وهذه هي سلوكيته وأخلاقه . أجل هذا هو الغرب الذي انخدعنا به ، وقلدناه في مسيرته . وبعد ذلك أترك الأمر إلى كل فتاة وكل فتى وإلى كل أب وإلى كل أم أن يستخلصوا العبرة من خلال هذه القصة الواقعية التي تفيدنا أن لا شرف للإنسانية ولا حماية للإعراض ، ولا صيانة للروابط الزوجية المقدسة الا بحلول الاسلام العادلة ، وتطبيق شريعته الغراء على واقع البشرية ، لترسوا سفينة الحياة على شاطىء السلامة ، حيث الاستقرار والسعادة .

ثم تتخلص الأمة من الانحراف وتعود إلى التمسك بعقيدتها والالتزام برسالتها وعندها يصدق عليها القول : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** .... ﴾[1]

والحمد لله الذي وفقني إلى خدمة دينه
والسير على وفق شريعته
والالتزام بحب رسوله
وأهل بيته عليهم السلام
والاخلاص بولايته
واسأله على ذلك

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

أن يتم حياتي

وعليه يميتني

إنه نعم المولى

ونعـــم

النصـــير



تقريظ الكتاب

لقد تسلمت بكل فخر واعتزاز التقريظ التالي من الأستاذ عبد الرحمن حجار الزبيدي ، والأخ الزبيديّ من خريجي كلية الفقه في النجف الأشرف ويجيد نظم الشعر العربي بالفصحى والعاميّة ، وإني حيث اطرز كتابي بتقريضه ، أقدم له جزيل الشكر والامتنان وأرجو له التوفيق والرحمة من الرحيم الرحمن

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المجاهد أبا جهاد المحترم

بعد سلام الله عليكم أرجو قبول هذه الأبيات كهدية متواضعة ، وهي تقريض لمؤلفكم الجليل « الزواج في الاسلام » والله الموفق ، وهو من وراء القصد .

يا فارساً حمل اليراع بكفّه ... قد صال صولته قائد ضرغام

قد سرت في نهج النبي محمد ... هو نهجنا السامي مدى الأيام

يا بن الغري وأنت طالب علمها ... وخطيبها من سالف الاعوام

دنيا القريض أبا جهاد لكم حكت ... وتقلدت بكم أعزّ وسام

الصيمري لنا هتاف خالد ... ومجيدنا يسمو بكل مقام

اصوات منبركم جهاد صادق ... وبه نحقق أسعد الاحلام

بوركت في بحث لشرعة أحمد ... قد لاح فيه منهج الاقدام

فكتابكم صوت الرسالة إنه ... قد خاطب الدنيا بخير نظام

أنعم به سفراً وقد قرضته ... إن « الزواج الحق في الاسلام »

أخوكم في الله

عبد الرحمن حجار الزبيدي

الشامية ١٣٩٦/١/٢٧ هـ

١٩٧٦/١/٢٩ م

شكر وتقدير

وبعد الحمد لله تعالى على ما وفقني إليه ، والصلاة والسلام على خير انبيائه ورسله محمد (ص) وآله الطاهرين .

لا يسعني وأنا العاجز القاصر عن رد جميل المحسنين من اهل الفضل والمعرفة الذين ساهموا في نقد هذا المؤلف ، الاّ أن ابتهل إلى الله تعالى بأن يوفقهم إلى خير الدنيا والآخرة ، وإن يأخذ بايديهم إلى ما فيه خدمة الاسلام ومنفعة المسلمين .

وأخص منهم الأخ المجاهد صاحب الفضل والفضيلة العلاّمة السيد محمد نجل العلاّمة السيد محمد صادق الصدر ؛ لما بذل من جهد وعناية في تصحيح هذا المؤلف وتتبع مصادره ، ونقده ، وغير ذلك مما أفادني كثيراً في إخراج الكتاب بهذا الشكل .

فله وافر الشكر وجزيل الامتنان ، وحفظه الله وأيده بتأييده أنه سميع مجيب .

الفهرس